3 me Année, No. 99.

Lundi-27-5-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٩٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٥٤ — ٢٧ مايو سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العـــــدد

إلى بعض الـكبراء . . .

عندكم ياسادتى المال، ولكم الجاه، وكان فيكم الحكم، فلمَ تأبون أن يكون معكم المجد أيضاً؟ رفعنا كم واتضعنا، وحكّمنا كم وأطعنا، ثم صفنا مجدنا ألقاباً لعظمتكم، وحشدنا أبناءنا جنداً لسطوتكم، وجعلنا أموالنا مدداً لثروتكم، وقلنا أفراد تقويهم روح الجماعة، ورموز تلبسهم فكرة الوطن، وألوية ترفعهم سواعد الأمة، فاذا ضعفكم ينوء بقوة الحكومة، واسفافكم يهبط بسمو المنصب، وارتفاعكم كارتفاع الأسهم النارية: فرقعة ولألاء، ثم سقوط وفناء!

***

يزعم أرباب الشعر وأصحاب الخيال أن الانسان مَلَكٌ مرتق الجناح هبط من سمائه ولم يصعد، فهو لا ينفك ماعاش نزوعاً إلى موطنه! وهم يعنون بذلك أن الانسان بالجزء الالهى الذى فيه مسوق إلى الكمال مَشُوق إلى الرفعة، فهو يفرغ من مطالب الجسد ليخلص إلى رغائب الروح، ويبتدئ بالأثرة فى ضيق الأنانية لينتهى إلى الايثار فى سعة الغيرية، وينشأ على هوى الطبيعة معنى جزئياً ليعود بحكم التطور فكرة انسانية! فما الذى قتل فيكم هذا النزوع السماوى، وصرف عنكم هذا الطموح المقدس، فقيدتكم

جاذبية المادة ، وعقلتكم شهوة الفرض ، وأبيتم على نداء البطولة واستحثاث الرجولة إلا أنَ تكونوا ناساً كأقل الناس ، لكم كروش لا تكتفى ، ونفوس لا تشتفى ، وأطماع لا تحد

ربما علل النفسيون هذا الميل الشاذ فى بعض كبراء اليوم ، بأنهم من فَقْدِ الخلق الصالح فى قصور ذاتى معنوى لا ينفك ؛ فهم يرتفعون قَذْفاً فى السماء ، ويسقطون جذباً إلى الأرض ، ولا يشعرون إلا كما يشعر الحجر بأن القاذف المجهول رمى بهم أمامٌ فوق ، وسحق بهم أناسيٌ تحت ! !

* * *

كذلك من يتعلم ولا يتربى ، ويتربى ولا يتدين ، ويتحرك ولا يقصد ، ويتصرف ولا يريد ! أولئك يحُدُون دنياهم بالأفق ، ويختمون حياتهم بالموت ، ويَزِنون سعادتهم بالمادة ، ويضخمون على أقوات الشعب ضخامة الفيِلَة المروضة ليكونوا مركباً للملوك ، وفرجة للناس ، وغذاء للأرض ! ! وهؤلاء أعاط من الخلق كانوا صُبَابة العهد القديم رسبت فيها أكداره وشوائبه ، ثم كانوا بحكم تخلفهم جسراً محطم الأركان مهدَّم القواعد ، لا بد للجيل الجديد من اجتيازه لينتقل من عالَم إلى عالَم ، ويخرج من عصر إلى عصر ، فهو يحملنا على اضطراب وخلل ، ونحن نعبره على احتراس ومهل ، وفى هذا الاحتراس وذلك الاضطراب سر ما ترى فى خُطانا من قِصَر وفى نهضتنا من بطء

ما علة هذه الهزيمة فى مصر ، وما سبب هذا الخلاف فى فلسطين ، وما باعث هذه الثورة فى العراق ؟ لا تلتمس دواعى ذلك كله فى كيد الدخيل وخداع العدو ، فان الغاصب يستطيع إن شاء أن يسلبك مالك بالحيلة ، أو استقلالك بالغيلة ، ولكنه لا يستطيع أن يفتنك عن شرفك وخلقك وضميرك وأنت رجل ! إنما يدفع هذه الفيلة الأهلية الغُلْف بخراطيمها الماحقة ، وأخفافها الساحقة ، وإهابها الصفيق ، فتسوّى أمامه الأرض ، وتمهد له الطريق ، وتحمل له فوق ظهورها العرش !

* * *

إن مشكلة الدستور ، وقضية (نزاهة الحكم) ، برهانان صارخان على أننا أُتينا يوم أُتينا من ناحية الخلق ! وتلك ناحية لا يحصنها والأمفاه شهادة تُعطى ، وخطبة تُلقى ، ومقالة تُكتب ؛ إنما يحصنها الله بدينه ، والمعلم بتهذيبه ، والأب بسيرته ، والزمن بطوله . وهل فى سادتنا وكبرائنا الذين أضلونا السبيل من لم يَنْشُدْ شيئاً من العلم فى المدارس ، ويدرك ذَرْواً من الأخلاق فى الكتب ؟ ولكن علم هؤلاء بالحلال والحرام كعلم القاتل واللص ، لا يعصم النفس ، ولا يوقظ الضمير ، ولا ينفى الجهل ، ولا يمس الحياة العملية ! فنحن كما ترى مقضىٌ على نهضتنا بالتثاقل ، وعلى أمتنا بالتخاذل ، حتى يصبح الدين قائماً ، والضمير حاكماً ، والعمل عقيدة ، والاحسان طبيعة ، والواجب مرعياً ، والتبعة مفروضة ؛ وحينئذ ينتظم وضعنا الشاذ ، ويتسق وجودنا النافر ، وتنفق من السُلال مطايا الرجعية النميمة !

* * *

قل لأولئك الذين أحرقوا روما وما زالوا يعزفون أناشيد الجحيم على أوتار نيرون ! ماذا جنى هذا الشعب الكريم حتى سفهتم حقه فى الحياة ، وأضعتم نصيبه من الحرية ؟ كان فى يديه دستور فأين ذهب ؟ وفى طريقه استقلال فأين اختفى ؟ وفى تاريخه ستة عشر عاماً حامية بالجهاد ، دامية بالضحايا ، فأين قطوفها المشتهاة ، وحصائدها المرجوة ؟

تصرفتم فى حقوقه تصرف السفيه فى المال المتروك ، واتخذتم من مرافقه وسائل للكيد الأحمق وموارد للربح الخاص ، وجعلتم من وحدته أولياء لا يعدوهم الاحسان وخصماء لا تُفِيُّهم الاساءة ، ونسيتم أن فى البلد احتلالاً يقظ الرأى ، كَلُوءَ العين ، يحصى عليكم الأنفاس ، ويتربص بكم الدوائر !

كان يقظان وكنتم غارّين ، فدلف إلينا من جهتكم ، واحتج علينا بخطئكم ، ثم ذبكم عن الحكم ذبٌ البعوض ، وقبض بيديه العاريتين على سياسة البلاد ، ووقفَ الأمة المنكودة بين الحيرة والشك فى عواقب هذا الفساد ! !

احمد حسن الزيات

٥ـ الانتحـــار

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المسيّبُ بنُ رافع : وأطرق الناسُ قليلاً بعد خبر (أبي محمد البصْري) ؛ إذ كان كلٌّ منهم قد جمعَ بالَه لِما سمع ، وأخذ يحدّسُ في نفسه ويراجعُها الرأي ؛ وكان المجلسُ قد امتدّ بنا منذ العصر وما يكاد النهارُ يُشمّرُ ما بأذياله ، حتى اعترضَتْ في شمسه الغُبرةُ التي تعتريها إذا دنتْ أن تغرُب . وكان الى يساري فتًى ريّانُ الشباب ، حسَنُ الصورة ، وضيءٌ مُشرِقٌ له هيئةٌ وسَمْت ، أقبلَ على الأيام وأقبلت الأيام عليه

فسمعني أطِنُّ على أذن (مجاهدٍ الأزْدي) ؛ وكنت أعرفُه شاعراً في كلامه وشاعراً في قلبه ؛ فقلت له : إنه لم يبقَ من النهار يا مجاهد إلا مثلُ صبرِ الحبِّ دَمَا له الموْعد ؛ ولم يبقَ من الشمس إلا مثلُ ما تلتفُّ صاحبتُه ، تأخذُ عليها ثوبَها وغلائلَها ولـكن بعد أن تُسقِطها من هنا ومن هنا ، لترى جمالَ جسمِها هنا وهنا !

فاهتزّ الفتى لهذه الكلمات وسالت الرِّقةُ في أعطافه وقال : يا عمّ ، أما ترى ما بقي من النهار كأنه وجهُ باكٍ مَسَحَ دموعه وليس حوله إلا كآبةُ الزمن ؟

قلت : كأنّ لك خبراً يا فتى ، فان كان شأنُك مما نحن فيه فَقُصَّه علينا وعلِّلْنا به سائرَ الوقت الى أن تجبَ الشمس ، ولعلك طائرٌ بنا طَيرةً فوق الدنيا

قال : فَمَهْ ؟

قلت : تقومُ فتتكلّم ، فاني أرى لك لساناً وبياناً

قال : أوَ يحسُن أن أتكلم في المسجد عن صَرْعةِ الحب وصريعه ، وعاشقةٍ وعاشق ؟

فبادر مجاهدٌ فقال : ويحك يا فتى ! لقد تحجّرْتَ واسعاً ؛ إن المؤمن ليصلّي بين يدي الله وكتابُ سيئاته في عنقه منشورٌ مقروء . وهل أوقاتُ الصلاة إلا ساعاتٌ قلبيّة لكل يومٍ من الزمن ، تأتي الساعةُ مما قبلها كما تأتي توبةُ القلب مما عملَ الجسم ؟ إنما يتلقّى المسجدُ من يدخلُه لساعته التي يدخله فيها ، ولو أنه حاسَبه عن أمسِ وأوّلَ منه وما خلا من قبل ، لطرَدهُ من العتَبة ! إن المسجد يا بنيّ إنما يقول لداخلِه : أدخلْ في زمني ودَعْ زمنك ، وتعالَ إليّ أيها الانسانُ الأرضي ، لتتحقّقَ أن فيك حاسّةً من السماء ، وجئْني بقلبك وفكرك ، ليشمُرا ساعةً أنهما في لافيك . ولسنا الآن يا بنيّ في مُتحدّثٍ كندِيٍّ القوم يتطارحون فيه أخبارَهم ، بل نحن في مجلسِ علمٍ تكلمتْ فيه رقَبةُ هذا ورقبةُ هذا بما سمعت ؛ فقُم أنتَ فاذكُرْ عِلمَ قلبِك وقُصَّ علينا خبرَ طيشِ الحبّ والشباب الذي يُشبهُ الكلامُ فيه أن يكون كلاماً عن الصعود الى القمر والقبضِ من هناك على البرق !

* * *

قال المسيّب : فانتهضَ الفتى ، ورأيت مجاهداً يتنهّد كأنما انصدعت كَبِدُه ؛ فقلت : ما بالُك ؟ قال : إن شبابي قد مرّ على الساعةَ فنسمْتُ منه في بُرْدةِ هذا الفتى ، ثم فقدْتُه فقداً ثانياً فهرِمْتُ هرَماً ثانياً ، وجاءني الحزنُ من إحساسي بأني شيخ حزْنَ مَن همّ أن يدخل بابَ حبيبٍ ثم رُدَّ . . . !

وتحدّثَ الفتى ، فاذا هو يُديرُ بين فكّيه لسان شاعرٍ عظيم ، يتكلم كلامَه بنفسين : إحداها بشريةٌ تصنع المعنى واللفظ ، والأخرى عُلويةٌ تُلقِي فيها النارَ والنور

قال : إن لي قصةً أيها الشيخ ، لم يبقَ منها إلا الكلامُ الذي دُفِنتْ فيه معانيها ؛ وقد تأتي القصةُ من أخبار القلب مُفعمةً بالآلام والأحزان ، لا يُراد بآلامها وأحزانها إلا إيجادُ أخلاقٍ للقلب يعيش بها ويتبدّل . والذي قُدِّر عليه الحبُّ لا يكون قد أحبّ غيرَه أكثرَ مما يكون قد تعلم كيف ينسى نفسَه في غيره ، وهذه كما هي أعلى درجاتِ الحبّ — فهي أعلى مراتب الاحسان

ومتى صدق المرءُ في حبّه كانت فكرتُه فكرتين : إحداهما فكرةٌ والأخرى عقيدةٌ تجعل هذه الفكرةَ ثابتةً لا تتغيّر ؛ وهذه كما هي طبيعةُ الحب فهي طبيعة الدِّين

ولا شيءَ في الدنيا غيرُ الحب يستطيع أن ينقُل الى الدنيا ناراً صغيرة وجنة صغيرةً ، بقدْر ما يكفي عذابَ نفسٍ واحدةٍ

أو نعيمها ! وهذه حالة فوق البشرية

والفضائلُ عامّتها تعمل فى نقل الانسان من حيوانيته ، وقد لا تنقل إلا أقلّه ويبقى فى الحيوانية أكثره ؛ ولكن الحبّ الصادقَ يقتلع الانسانَ من حيوانيته بمرّةٍ واحدة ، بَيْدَ أنه لا يكون كذلك إلا إذا قتله بآلامه ؛ فهو كأعلى النُّسك والعبادة

كان من خبرى أنى دُعيتُ يوماً إلى ما يُدعى لمثله الشباب فى مجلس غناءٍ وشراب يا لَهُ من مجلس ! وقد قال تعالى : «إن الله لا يستحيى أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها» والبعوضةُ فى قصتى أنا كانت امرأة نصرانيّة . . . قينةُ فلان المغنّية الحاذقة المحسنة المتأدبة ، تحفظ الخبرَ وتروى الشعر ، وتتكلم بألفاظٍ فيها حلاوةُ وجهها ، وتخلُقُ النكتةَ إذا شاءت خلقَ الزهرة المتفتّحة عليها سقيطُ الندى ؛ وتجيدُ بالحديث ما شاءت وتهزل ، فتجعل للكلام عقلاً وشهوة تضاعفُ بهما مَن تحدّثه فى شهواته وعقله !

وستجرى فى قصتها ألفاظُ القصة نفسها ، لا أتأثّمُ من ذلك ولا أتذمّم ؛ فقد ذكر اللهُ الخمرَ بلفظ الخمر ولم يقل : «الماء الذى فيه السُّكْر» ، ووصفَ الشيطانَ ولم يقل : «المَلَك الذى عمِل عملَ المرأة الحسناء فى تكبرها» ، وذكر الأصنامَ بأنها الأصنام ولم يسمّها : «حاملة السماء التى يصنعها الانسان بيديه» ، وحكاية ما بين الرجل والمرأة هى كلامٌ يقبّل بعضُه بعضاً ويلتزمُ ويتعانق !

قال المسيب : فتبسم إمامُنا ونظرتْ عيناه تسألان سؤالا . أما مجاهدٌ الأزدىّ فكان من هزّةِ الطرب كأنه على قَتَب بعير ، وقال : لله درّه فتى ، إن هذا لبيانٌ كحيلُ العين . . .

ثم قال الفتى : وذهبت الى المجلس وقد جملته هذه المغنيةُ من حواشيه وأطرافه كأنه تفسيرٌ لها هى . أما هى فجاءت نفسها تفسيراً لكلمةٍ واحدة هى : «اللذّة . . .»

قال المسيّب : وطرِب مجاهدٌ طرباً شديداً ، وسمعته يخافتُ بصوته يقول : «لله درُّها امرأة ، هذه ، هذه عدوّةُ الحور العين !»

ثم قال الفتى : وتطرّبَ جماعةُ أهلِ المجلس الى الشرب ، وما ذقتُ خمراً قطّ ، ولن أذوقها ولو شربها الناسُ جميعاً ، ولن أذوقها ولو انقطع الغيثُ ولم تمطر السماء إلا خمراً ؛ فانى مذ كنت يافعاً رأيتُ أبى يشربها ، وكانت أمى تلومه فيها وتشتد فى تعنيفه وتحتدم ، وكانا يتشاحنان فينالُها بالأذى ويَندرئُ عليها بالسبّ وفحشِ القول . وسكِر مرة وغلبه السكر حتى ثارت أحشاؤه فذرَعه القىءُ فتوهّمنى وعاء ، وجاء الىّ وأنا جالسٌ فأمسك بى وقاءَ فى حجرى ، حتى أفرغ جوفه ؛ وثارت أمىّ لتنتزعه وأنشأتْ تعالجه عنى فتصارعَ جنونه وعقلها حتى كفأته على وجهه كالاناء ؛ فالتوى كالحيّة بطناً لظهر واستجمع كالقنفذ فى شوكه ، ثم لكزها برجله أسفل بطنها فانقلبت ، وأصاب رأسها إجّانة [1] العجين فثلم تثليمَ الاناء كأنما شُدخ ضرباً بحجر ، وانتثر دماغها على الأرض أمامَ عينىّ ، ورأيتها لم تزد على أن دفعتْ بإحدى يديها فى الهواء وضمت بالأخرى الى صدرها ، تتوهم أنها تحمينى وتدفعه ، ثم سكنتْ . ولو لم تمُت من الشجّة فى رأسها لماتتْ من الضربة فى بطنها !

* * *

قال المسيّب : وأطرق الفتى هُنيهةً وأطرق الناسُ معه ؛ فرفع مجاهد صوته وقال : رحمها الله ! فقال الناس جميعاً : رحمها الله !

ثم قال الفتى : وكان عامّةُ مَن فى المجلس يعرفون ذلك منى ، ويعرفون أنه لو ساغ لانسانٍ أن يشربَ دمَ أمّه ما شربتُ أنا الخمر . فقالوا للمغنّية : إن هذا لا يدخلُ فى ديواننا [2] . فنظرتْ إلىّ ، وهربتُ أنا من نظرتها بإطراقة ؛ ثم قالت : تشربُ على وجهى ؟ فقلتُ لها : إن وجهك يقول لى : لا تشرب . . . فتضاحكتْ وقالت : أهو يقول لك غيرَ ما يقول لهؤلاء ؟ فهربتُ من كلامها بإطراقةٍ أخرى ، ووصلتِ الاطراقتان ما بينى وبين قلبها ؛ وتنبه فيها مثلُ حنوّ الأمّ على طفلها إذا آذته بلسانها فأطرق ساكتاً يشكوها إلى قلبها !

والتفتتْ لمن حضر وقالتْ لهم : لستُ أطيب لكم ولا تنتفعون بى الا أن تشربوا لى وله ولأنفسكم ، وانحطّ عليهم

(١) هى ما يعجن فيه العجين وتغسل فيه الثياب ، وقد يوضع فيها الماء ليتوضأ منه ، وتتخذ من حجر أو خزف أو غيرها

(٢) تعبير قديم كانوا يريدون به الشرب كأنه ديوان ملك

الساق ، فشربوا أرطالاً وأرطالاً ، وهي بين ذلك تتبسم وقد أقبلت عليهم وخلا وجهها لهم من دوني وإنما تخالسني النظرة بعد النظرة

فوسوس لي شيطاني أن تشدد مع هذه بمثل عزمتك مع الخمر . ولكني كنت أحدُّ النظرَ اليها ، فمرةً أوامقها نظرة المحب للحبيب ؛ وكأني بذلك كنت آخذها وأدعها ، وأصلها وأهجرها . فقالت لي كالمنكرة عليَّ : ما بالك تنظر إليَّ هكذا ؛ ولكن هيئة وجهها جعلت المعنى : لا تنظر إليَّ إلا هكذا . . . !

وأسرع الشرابُ في القوم وأفرط عليهم السُّكر ؛ فبقيت لي وحدي وبقيتُ لها وحدها ؛ ثم تناولت عودها وضمته إليها ضماً شديداً أكثر من الضم . . . وألمسته صدرها ونهديها ، ثم رنت إليَّ بعيني ، فما شككت أنها ضمة لي أنا والعود ؛ ثم غنت هذا الصوت :

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غُدوةً
على الغصن ؛ ماذا هيّجت حين غنتِ ؟
فما سكتت حتى أويتُ لصوتها ،
وقلتُ : تُرى هذي الحمامةُ جُنتِ ؟

* * *

وما وجدُ أعرابيةٍ قذفت بها
صروفُ النوى من حيث لم تكُ ظنتِ . . .
إذا ذكرت ماءَ العضاه وطيبَه ،
وبردَ الحمى من بطن خبتٍ ، أرنّتِ . . .
بأكثر مني لوعةً ، غيرَ أنني
أُجمجمُ أحشائي على ما أجنتِ !

وغنته غناءً من قلبٍ يئن ، وصدرٍ يتنهد ، وأحشاءٍ لا تخفي ما أجنت ؛ وكانت ترتفع بالصوت ثم كأنما يهمي الدمعُ على صوتها ، فيرتعش ويتنزل قليلاً قليلاً حتى يئن أنين الباكية ، ثم يتلجلج في صدرها مع الحب ، فيتردد عالياً ونازلاً ، ثم يرفض الكلامُ في آخره دموعاً تجري

* * *

قال المسيّب : فنظر إليَّ مجاهد وقال : عدوّةُ الجنة والله هذه يا أبا محمد ، لاتقبل الجنةُ من يكون معها . تقول له : كنتَ مع عدوّتي !

ثم قال الفتى : وكان القوم قد انتشوا ، فاعتراهم نصفُ النوم وبقي نصفُ اليقظة في حواسّهم ، فكلُّ ما رأوه منا رأوه كأحلام لاوجود لها إلا خلف أجفانهم المُثقلة سكراً ونعاساً . ووثبت المغنيةُ فجاءت إلى جانبي والتصقت بي ، وأسرع الشيطانُ فوسوس لي : أن احذر فانك رجلُ صدق ، وإذا صدقت في الخمر فلا تكذبنّ في هذه ، ولئن مسستها إنها لضياعُك آخرَ الدهر !

فعجبتُ أشدَّ العجب أن يكون شيطاني أسلم وأُعنت عليه كما أعين الانبياءُ على شياطينهم . ولكن اللعين مضى يصدّني عن المرأة دون معانيها ، وكان بي كالذي يُدني الماءَ من عيني القتيل المتلهب جوفُه ثم يجعله دائماً فوتَ فيه ، ولقد كنتُ من الفحولة بحيث يبدو لي من شدة الفورة في دمي وشبابي أن أجمع في جسمي رجالاً عدّة ، ولكن ضربني الشيطانُ بالخجل فلم أستطع أن أكون رجلاً مع هذه المرأة

وعجبت هي لذلك وما أسرع ما نطق الشيطانُ على لسانها بالموعظة الحسنة ...! فقالت :لقد أحببتُك ما لم أحبّ أحداً ، وأحببتُ خجلك أكثر منك ، فما يسرني أن تأثم فيّ فتدخلَ النارَ بحبي ، ولو أنك ابتعتني من مولاي ؟ فقلت : بكم اشتراكِ ؟ قالت : بألف دينار ! قلت : وأين هي مني وأنا لو بعت نفسي ما حصّلت لي ؟

فتمم الشيطانُ موعظته وقالت : إن قلبي قبلك غنياً كنتَ أو فقيراً ، وأحسّ بك وحدك حُبّ العذراء أوّل ما تُحب ، وأنا ــ كما تراني ــ أعيش في السيئات كالمُكرهة عليها ، فسأعمل على أن تكون أنت حسنتي عند الله ، أذهب اليه حاملة في قلبي حبي إياك وعفتي عنك ، ولئن كانت عفةُ من لا يشتهي ولا يجد تعدُّ فضيلة كاملة ، إن عفة من يجد ويشتهي لتعدُّ ديناً بحاله . ولا يزال حبي بكراً ، ولا أزال في ذلك عذراء القلب ، وهؤلاء قد نزعوا الحياءَ عني من أجل أنفسهم ، فألبستنيه أنتَ من أجلك خاصة ، وإن قوة حبي الذي سيتألم بك ويتعذب منك لطول مايصبر عنك ، ستكون هي بعينها قوةً لفضيلتي وطهارتي

ثم تناولتْ عودها وسوّته وغنتْ :

فلو أنا على حَجر ذُبحْنا   جرى الدَّميان بالخبر اليقين (١)

وجعلت تتأوّه في غنائها كأنها تُذبح ذبحاً ، ثم وضعت العودَ جانباً وقالت : ما أشقاني ! إذ اتفقتْ لي ساعةُ زواجي في غير وقتها فجاءت كالحلم يأتي بخيال الزمن فلا يكون فيه إلا خيال الأشياء

ثم سألتني : ما بالك لم تشرب الخمر ولم تدخل في الديوان ؟ فبدرَ شيطاني المؤمن . . . وساق في لساني خبرَ أمي وأبي ، فانتضحتْ عيناها باكية وتم لها رأيٌ في رأيي أنا في السكر ؛ وكان شيطانها بعد ذلك شيطاناً خبيثاً مع أصحابها ، وبطريقاً زاهداً معي أنا وحدي !

ورأيتها لا تجالسني إلا مُتزايلة كالعذراء الخفِرة إذا انقبضتْ وغطت وجهها ، وصارت تخافني لأنها تحبني ، وهيّبني الشيطان إليها فعادت لا ترى فيّ الرجلَ الذي هو تحت عينيها الشيّبتين ... ولكن القدّيسَ الذي تحت قلبها البكر

ولم يَعد جمالي هو الذي يعجبها ويصبيها ، بل كان يعجبها مني أني صنعةُ فضيلتها التي لم تصنع شيئاً غيري . . .

* * *

وانطلق الشيطانُ بعد ذلك فيّ وفيها بدهائه وحنكته وبكلّ ما جُرّب في النساء والرجال من لَدُن آدمَ وحوّاء إلى يومي ويومها . . . ! فكان يجذبني إليها أشدَّ الجذب ، ويدفعها عنيَ أقوى الدَّفع ، ثم يُغريني بكل رذائلها ولا يغريها هي إلا بفضائلي . وألْقَى منها في دمي فكرةَ شهوةٍ مجنونةٍ متقلِّبة ، وألقى مني في دمها فكرةَ حكمةٍ رزينةٍ مستقرّة . وكنت ألقاها كلَّ يومٍ وأسمع غناءها ؛ فما هو بالغناء ولكنه صوتُ كلِّ ما فيها لكلِّ ما فيّ ، حتى لو التصق جسمُها بجسمي وسارَّ البَدَنُ البدنَ ، وهمَسَ الدمُ للدم ، لكان هو هذا الغناء الذي تغنّيه

وأصبحت كلما استقمتُ لحبها تلوّت عليّ ؛ إذ لستُ عندها إلا الأملَ في المغفرة والثواب ، وكأنما مُسختُ حبلاً طولُه من هنا إلى الجنة لتتعلّق به . وعاد امتناعها مني جنوناً دينيّاً ما يفارقها ، فابتلاني هذا بمثل الجنون في حبها من كلَف وشغف

وانحصرتْ نفسي فيها ، فرجعتُ معها أشدَّ غباوةً من الجاهل ينظر إلى مَدّ بصره من الأفق فيحكم أن ههنا نهايةَ العالَم ، وما ههنا إلا آخرُ بصره وأولُ جهله . وانفلتَ مني زمامُ روحي ، وانكسر ميزان إرادتي ، واختل استواءُ فكري ، فأصبحتُ إنساناً من النقائض المتمادية أجمعُ اليقينَ والشكَّ فيه ، والحبَّ والبغض له ، والأمل والخيبة منه ، والرغبةَ والعزوفَ عنها . وفي أقل من هذا يُختطَفُ العقل ، ويَتَدلّه من يتدله

ثم ابتليتُ مع هذا اللَّمم بجنون الغيظ من ابتذالها لأصحابها وعفتها معي ، فكنتُ أتطاير قطعاً بين السماء والأرض ، وأجدُ عليها وأتنكّرُ لها ، وهي في كل ذلك لا تزيدني على حالةٍ واحدة من الرهبانيّة ؛ فكان يطير بعقلي أن أرى جسمها ناراً مشتعلة ، ثم إذا أنا رُمتُه استحال ثلجاً . وقرّحت الغيرةُ قلبي وفتّتت كبدي من عابدةِ الشيطان مع الجميع ، الراهبةِ مع رجلٍ واحدٍ فقط . . . . !

ورجعتْ خواطري فيها مما يُعقَل ومالا يعقل ؛ فكنتُ أرى بعضها كأنه راجعٌ من سفرٍ طويل عن حبيب في آخر الدنيا ، وبعضها كأنه خارجٌ من دار حبيبٍ في جواري ، وبعضها كأنه ذاهبٌ بي الى المارستان . . . !

ورأيتنا كأننا في عالَمين لا صلة بينهما ونحن معاً قلباً الى قلب ، فذهبَ هذا بالبقية التي بقيت من عقلي ؛ ولم أرَ لي مَنْجاةً إلا في قتلِ نفسي لأزهق هذا الوحشَ الذي فيها

وذهبتُ فابتعتُ شعيرات من السمِّ الوَحِيِّ الذي يُعْجِلُ بالقتل ، وأخذتها في كفي وهممتُ أن أقمحها وأبتلعها ، فذكرت أمي ، فظَهرتَ لخيالي مشدوخةَ الرأسِ في هيئة موتها ، والى جانبها هذه المرأةُ في هيئة جمالها ، وثبتَتْ على عيني هذه الرؤيا ، وأدمَنتُ النظر فيها طويلاً فاذا أنا رجلٌ آخرُ غيرُ الأول ، وإذا المرأةُ غيرُ تلك ، وطفتْ عبرةُ الموت على شهوةِ الحياة فمحتها ، وصحّ عندي من يومئذٍ أن لا علاج من هذا الحبِّ إلا أن تُقرَن في النفس صورةُ امرأةٍ ميتة الى صورة المرأةِ الحيّة ، وكلما ذُكِرَتْ هذه جِيءَ لها بتلك ، فاذا استمر ذلك فان الميّتة تُميتها في النفس وتُميت الشهوةَ اليها ، ما من ذلك بُدّ ، فليجربه من شك فيه

(١) كانت العرب تزعم أنه إذا قتل اثنان فجرى دماهما على طريق واحد ثم التقيا ، حكم عليهما أنهما كانا متحابين ، فإن لم يلتقيا حكم عليهما أنهما كانا متشانئين . وما أجملها خرافة وأشعرها

وانفتح لى رأىٌ عجيب ، فجعلتُ أتأمل كيف آمن شيطانى ثم كَفَر بَعدُ ، على أن شيطانها هى كَفَر فى الأول ثم آمن فى الآخر ؟ فوالله ما كنتُ إلا غبياً خامدَ الفطنة إذ لم يَسِخَ لى الصواب حتى كدت أزهق نفسى وأخسر الدنيا والآخرة ؛ فان الشيطان — لعنه الله — إنما ردّنى عن الفاحشة وهى ذنب واحد ليرمينى بعدها فى الذنوب كلها بالموت على الكفر !

وردّ الىّ هذا الخاطرُ ما عَزَبَ من عقلى ؛ ومَن ابتُلِىَ ببلاءٍ شديد يزلزل يقينه ثم أبصر اليقين ، جاء منه شخص كأنما خُلِقَ لساعته ؛ فلعنتُ شيطانى واستعذتُ بالله من مكرِه ، وألقيت السمّ فى التراب وغيّبته فيه ، وقلتُ لنفسى : ويحك يا نفس ! إن الحياة تعمل عملاً بالحى ، أفترضَين أن تعمل الحياةُ بأبطالها ورجالها ما عرفتِ وما علمتِ ، ثم يكون عملها بك أنت القعودَ ناحية والبكاءَ على امرأة ؟

أيتها النفس ، ماالفرق بين سرقة لحم من دكان قصاب ، وبين سرقة لحم امرأة من دار أبيها ، أو زوجها ، أو مولاها . . . ؟ أيتها النفس ، إن إيمانَ أسلافنا معنا ؛ إن الاسلام فى المسلم

* * *

قال المسيّب : وهنا طاش مجاهد واستخفه الطرب ، فصاح صيحةَ النصر : الله أكبر ! وجاوبه أهلُ المسجد فى صيحةٍ واحدة : الله أكبر ! ولم يكد يهتف بها الناس حتى ارتفعت صيحة المؤذّن لصلاة المغرب . الله أكبر . . .

« انتهى المجلس ، وبقيت لحديث المسيب بقية »

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

رجاء — أرجو ممن كتب الى بتوقيع (مسلم) أن يتخذ عنواناً أخاطبه به ولو اسما مستعاراً فى شباك البريد لأكتب له كتاباً خاصاً ؟ الرافعى

سبيل المدنيـــة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

رآنى مرةً صاحبٌ لى آكل لحماً نيئاً ، فاستغرب ، وسألنى عنه كيف أجده ؟ قلت : أطيب ما يكون ، فأبى أن يصدّق ، وذهب يكابر ، وجعل يسأل : « كيف تستطيبه وهو نيءٌ ؟ »

قلت : « يا أخى إن المسألة ليست مسألة منطق وجدل ، وإنما هى مسألة طعام ، فخذ منه وذق ، وانظر بعد ذلك كيف تجده ، ثم إنه لا شك أخف على المعدة وهى أقدر على هضمه من اللحم الذى أنضجته النار ، وأثقله ما يخلط به »

فهز رأسه منكراً ، وأبى أن يجرب . ومضت أيام ، فاشتهيت أن آكل كبداً نيئة ، فصارت الخادمة بعد ذلك تعلن الخوف منى ولا تخفيه ، وتغلق عليها الأبواب حين تنام ، كأنما خشيت أن آكلها حية ، ثم لم تطق صبراً فتركت البيت ، وتحدثت إلى المخدم بأنى « غول » فتعذر عليه أن يقنع غيرها بالعمل فى بيتى ، فجئت بواحدة من الريف

ويخيل إلىّ أن المدنية تضعفنا من حيث ترقينا ، وتشيع فى نفوسنا روح الأنوثه ، فنزداد علينا رقة وتطريا ، ولا نزداد قوة وقدرة على المقاومة . فنحن مثلاً نقاوم البرد بالثياب لا بأجسامنا وما فيها من المناعة الطبيعية التى تستفاد من التجرد ، ولا يستطيع الواحد منا أن يخطو عشر خطوات بقدم حافية ، وما أكثر ما تسمع الأم تحذر ابنها أن يمشى حافياً حتى فى البيت مخافة أن يصيبه أذى من الرطوبة أو نحوها . والخبز يوضع على المائدة فى طبق حتى لا يمس السفرة ، والأشواك والسكاكين والملاعق توضع مستندة إلى قطع من الزجاج أو المعدن ترفع أطرافها ، وهكذا فى كل شىء ، ولكن القطة مثلاً تعمد إلى كوم الزبالة فتنبشه وتأكل ما تجد فيه من فتات الخبز أو غيره ، والكلب يقضم العظام مخلوطة بالتراب فلا يصاب بسوء ولا تعروه حمى ، وينام تحت عين الشمس فلا تضربه ، وإذا جاء الشتاء لم يتخذ لحافاً ولا شبهه . وحدثنى طبيب يعمل فى الريف انهم قلما يعنون بتطهير أدوات الجراحة فى مستشفيات القرى

عنايتهم بذلك في المدن ، ولا يرون أن هذا يضير المرضى ، أو يحدث لهم تسمماً ، وهو يعلل ذلك بأن الأجسام في القرى أعظم حصانة وأقوى مناعة لكثرة تعرضها ، على خلاف الحال في المدن

ونصحني مرة طبيب من أصدقائي أن أكف عن أكل اللحم وأن أقتصر في طعامي على الخضر والفاكهة ، فقلت له : « لا يا صاحبي ، فاني أرى الحيوان أقواه آكل اللحم وأضعفه آكل النبات ، وأنا أكره لنفسي أن أحيا حياة خروف . والعمر طوله أو قصره لا قيمة له ، وليست العبرة بأيام تزداد في الأجل أو تنقص منه ، فانه إلى انتهاء على الحالين ، « وتمرجوع وهاج المصابيح رمدد » كما يقول الشاعر ، ولأن يحيا المرء حياة قصيرة ولكنها قوية ، خير ألف مرة من أن يعيش ألف سنة ويكون بغلاً أو حماراً »

فضحك ولكني كنت جاداً ، ومن ذا الذي لا يؤثر أن يكون نمراً على أن يكون ثوراً ؟ أعني أن تكون له قوة النمر وصولته وبطشه ، ولا بأس بالغدر والقسوة أيضاً ، فان لكل مزية ثمنها ، وعسير أن تؤتى فضلاً وأن تسلم من عيب أو نقيصة ؛ وإذا كان ثمن القوة القسوة أو الغدر ، فان ثمن الجمال الضعف ، وهكذا في غير ذلك

وعلى ذكر ذلك أقول إن الحب عند الحيوان نزو ، وهو بين البدو شهوة تغرى بالاستحواذ بالقوة أو الحيلة ، ولكنه في ظل المدنية يستحيل حنين عاجز ، وصبوة حائر ، ولهفة ضائع ، ودموع مفؤود ، لا حيلة له ولا دواء من دائه إلا أن يرق له المحبوب ويحنو عليه كما تحنو الأم على طفلها الرضيع . والتماس معاني الجمال في الانسان والحيوان والأشياء عنوان رقى ودليل على دقة الحس والتمييز ، ولكنه أيضاً التماس لمعاني الضعف ، وتطرى من الانسان ، ونزوع إلى الأنوثة . وهذا كلام أحسب القراء سينكرونه ولا يقبلونه ، ولعل منهم من يتوهمه إغراقاً في التخيل ، ولكنه الحقيقة — وسبيل المدنية هذا ، ولا حيلة لي ولا لهم .

وأحسب أن في نفسي أثراً من آثار البداوة ، فاني أحب الصحراء وأكره هذه البنى العالية ولا أرتاح إلى الفرش الوثير ، وأمقت التعقيد وأوثر البساطة في كل شيء ؛ وقد ارتاب بعض أهلي في صحة عقلي لما تزوجت ، لا لأني تزوجت ؛ فما في ذلك من بأس ، بل لأني قلت لهؤلاء الأهل لما أبلغوني أن صاحبهم يأبى أن يزوجني الصغرى قبل أن تتزوج الكبرى : « قولوا له إني سآخذها على الرغم منه إذا لم آخذها برضاه »

فعجبوا وقال قائلهم : « كيف ؟ في أي عصر نحن ؟ أم تريد أن تحدث لنا حدثاً في الأسرة ؟ »

قلت : « كل ما أعرفه أني أطلبها وأني سآخذها — خطفاً أو غصباً أو سرقة — آخذها والسلام ، فقولوا ما بدا لكم ، وظنوا ما شئتم ، ولكني أنصح لكم أن تردوا صاحبكم إلى الرشد »

فلم يسمع منهم ، فكان أن أخذتها على رغم كل أنف — إلا أنفها ! ولم أخطفها ولم أسرقها ، ولكني أحسنت التدبير وجودت الحيلة . وما معنى أن أطلب شيئاً فلا أصنع شيئاً ، وأروح أتحسر وأتلهف وأقطع قلبي عليه ؟ هذا كلام فارغ ! والطلب يقتضي السعي ، فاما أن يوفق المرء وإلا فليقصر إذا عزه الطلب ، ولكنها المدنية تحيل النفوس كالورق المبلول ، فمن كان يريغ القوة فليجفف نفسه قليلاً ، وليتأ بها عن الترف والرقة

وقد قرأت للكاتب الانجليزي ه . ج . ولز ، قصة لا أذكر اسمها ، ولكني أذكر أنه يتخيل أن البطل انتقل إلى كوكب آخر أرقى من هذه الأرض ، وأعلى في درجات الحضارة وأسبق إليها ببضعة آلاف من السنين ، فكان أن ظهرت الانفلونزا ، ففشت بسرعة ولم يدر سكان هذا الكوكب كيف يتقونها أو يصدونها ، لأن جرثومتها لا تجد من أجسامهم مقاومة ، فأخذوا يعزلون المصابين بالطيارات

وهذا فعل المدنية لأنها ترمى إلى التسهيل والتيسير على الانسان والتخفيف عنه ، ورفع مؤونة الكد والتعب ، وهذا مفض إلى التطرى والضعف . وقد قيل للمشترع الأسبرطي مرة : « ألا تبني لنا سوراً يقينا الغارات الفاجئة ؟ »

فقال : « كلا . خير سور ما كان من اللحم والدم »

يريد أن يقول إن بناء السور من الحجر يغرى بالاستنامة والاطمئنان ويؤدي إلى الضعف ، أما إذا بقيت المدينة بلا سور يحميها فان هذا يبعث على تنبه أهلها ويقظتهم ويدفعهم إلى الاستعداد الدائم ، فلا تضعف نفوسهم ولا تذهب رجولتهم . وهذا صحيح . وقس على ذلك في سائر الأمور

ابراهيم عبد القادر المازني

من آثار هوجو

أمبير جلوا

(Imbert Gallois)

رمز الشبيبة المعذبة

للآنسة النابغة «مي»

بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاة فيكتور هوجو، سيكون النظر في كتاباته والتحدث عنها من خير الوسائل للاحتفاء بذكراه، بل هو أحسنها على الاطلاق، لأن الشاعر يعيش بآثاره لا بما يقول الناس عنه، ولا بما يصنعون «لتخليد» اسمه

ومن آثار هوجو ماهو خصيص بعصره، ومنها ما لن يستوعبه إلا المستقبل، ومنها ما هو لكل زمن وكل مكان، ومنها ما يخيل أنه وضع لأيامنا هذه. ومع أن حكاية أمبير جلوا من أقل كتابات هوجو ذيوعاً، فهي أكثر ما تكون انطباقاً على حالة طائفة من الشبان في هذا العصر، حتى في هذه البلاد — مع اختلاف نوع الحافز لانفعال الغرام

ومن يكون أمبير جلوا ؟

هو فتى سويسري، ووالده يعلم الخط في مدارس جنيف، استهواه اسم باريس، فراح يجري وراء السراب الذي أغرى الكثيرين بأن تلك المدينة العظيمة هي عاصمة المناصرة بالمواهب والمضاربة بالحظوظ، وأن كل لبيب باسل يجد فيها المستقبل الذي يستحقه وخلاصة ما يصبو إليه من نجاح وثروة وشهرة ومجد. «فمن دخلها بلا حذاء، خرج منها في مركبة»

وقد دخلها أمبير جالوا في اكتوبر ١٨٢٧، ومات فيها بؤساً ويأساً في اكتوبر ١٨٢٨

عام واحد لا غير، لتحيا فيه جميع الآمال، ولتخيب فيه جميع الآمال. ويصف هوجو بطله شاباً مديد القامة، محني الظهر قليلاً، براق العينين، فاحم الشعر، وردي الوجنتين، يرتدي رادنجوتاً أبيض، وعلى رأسه قبعة قديمة. في الجملة الأولى يتلعثم إذ هو يذكر اسمه واسم المدينة التي كان فيها طفلاً، ثم اسم المدينة التي يريد أن يكون فيها رجلاً: هو في الحادية والعشرين من عمره، وثقته بنفسه أقل من ثقافة فكره ومن خصب جنانه. هو يسعل قليلاً؛ وبحركة مرتبكة يحاول ارجاع قدميه إلى الوراء تحت الكرسي. ربما ليخفي حذاءه الرث ذا الخروق، أو هو يحاول تدفئة قدميه بعض الشيء بعد تسرب ماء المطر إليهما من هاتيك الخروق. وبعد الكلمات الأولى يتركز صوته، ويتكلم بطلاقة، وتكاد تقتصر أحاديثه على شعراء انجلترا.

كذلك عرفه الرجال الثلاثة أو الأربعة من كبار الكتاب والأدباء الذين رحبوا به وشجعوه وساعدوه قدر المستطاع، مقدرين فكره المشبوب وثقافته وتأدبه وحسن بيانه.

انتابته في الشهور الأولى حمى باريس، فأراد أن يرى كل شيء ويسمع كل شيء. لم يعن بأهل السياسة والتسوس، ولا بالمتحذلقين الذين لا هم لهم غير «قتل الوقت» والظهور، ولا بجماهير المتقاطرين لزيارة المكاتب والمتاحف، بل كان همه روح باريس الحية، ورسالة باريس الفكرية، واتجاهات باريس في تطورها الفني. وحيث الجدل الأدبي واحتكاك الآراء فهو موجود، يساهم في الحديث والمناقشة، ويطرح أفكاره المديدة لمن يبغي النقد والتمحيص

كذلك كان في الشهور الأولى. أما في الشهور الأخيرة فاستسلم لليأس، وقد مل كل شيء، وزهد في كل شيء. أترى مثله الأعلى كان أكبر من باريس أم أصغر؟

ليس من يعلم. إلا أنه بات يوماً وقد أعرض عن الحياة، وكأنه قد صمم على الموت بدون انتحار. وكان عارفو مواهبه يمكنونه من مزاولة بعض الأعمال الكتابية التي يسعى إليها ويعيش عليها الألوف، كتحضير المواد اللازمة لتأليف المعاجم، وجمع المعلومات المقتضاة لتدوين سير العظماء — العمود الواحد منها بعشرين فرنكا! فاشتغل قليلاً ثم أحجم. والعلة البطيئة التي لازمته منذ الطفولة أخذت تتفاقم وتشتد بسرعة. وقد تلاشت آماله، واختفت من حواليه رؤى المجد المرجو، وامتهن حتى ما تركه من منثور ومنظوم، لعجز شعره ونثره عن تقديم شيء ولو صورة باهتة من نفسيته المتفجعة. وعندما قضى نحبه في الثانية والعشرين كان موقناً بأن شيئاً من آثاره لن يبقى

أما فيكتور هوجو فيرى أنه كان مخطئاً، إذ بقيت منه رسالة متقطعة كتبها في عدة شهور الى أحد أصحابه السويسريين،

ولايقتصد هوجو فى إعجابه بتلك الرسالة التى يعتبرها « اعترافاً سرياً من نفس قليلاً ما تشبهُ غيرها ، على حين أنها صورة لجميع النفوس . وهذه هى ميزة تلك الرسالة : فهى الاستثناء الشاذ ، وهى الشيء الشائع المألوف »

* * *

ونشر هوجو الرسالة بنصها الكتمل ، فلم يحذف منها إلا الأسماء مراعاة لأصحابها . والى القارىء فقرات جوهرية من تلك الرسالة التى لايتسع المجال لنشرها كلها . فنى هذه الفقرات ترتسم من أمبير جلوا صورته النفسية ، مع خيال الغرام الواحد الذى عاش عليه الى النهاية :

« اليوم ١١ ديسمبر ، ونحن فى الساعة الثالثة . لقد مشيت ، وقرأت . السماء جميلة ، وأنا أتألم فى تفطر . وصلت باريس فى ٢٧ اكتوبر ، فأنا هنا أذبل وتذهب قواى بلا رجاء . عرفت ساعات وأياماً بتمامها لامس فيها يأسى الجنون . متعباً ، فى انقباض حسىّ وأدبىّ ، متشنج النفس فى هـذه الأحياء الليئة بالوحل والدخان ، كنتُ بلا توقف أهيم مجهولاً ، وحيداً وسط جمهور عظيم من الناس يجهل بعضهم بعضاً هم أيضاً »

« اتكأتُ ذات مساء على جدار جسر نهر « السين » ؛ ألوف الأنوار تتراءى الى بعيد المدى ، والنهر يجرى ، وكنتُ من الكلال بحيث لم أستطع مواصلة السير . وهناك ، وقد نظر الىّ بعض السابلة كأنى مجنون ، اشتدت علىّ وطأة العذاب فلم أقو على البكاء . أنت فى جنيف كنت أحيـاناً تمازحنى هازئاً بشـدة تأثراتى . وأنا هنا ألتهمها وحيداً ، تلك التأثرات التى تنكل بى ، ولاتفتأ تهاجنى بلا مهادنة . كل شيء يتعاون على تمزيق نفسى : الاحساس الرهيب المتوالى الذى يُشعرنى بفناء زهونا وأفراحنا وأتراحنا وأفكارنا ، وتزعزع موقفى ، ورهبة الفاقة ، ومرضى العصبى ، وخمول اسمى ، وبطلان مساعىّ ، وعزلتى حيال عدم اكتراث الآخرين وأثرتهم ، ووحدة قلبى ، وحاجتى الى السماء والحقول والجبال والأفكار الفلسفية أيضاً ، وفوق هذا — أجل ، واهاً ! فوق كل هذا ، الحنين الموجع الى بلاد الجدود . يتفق لى فى بعض الأوقات أن أحـلم بقظانَ بكل ما أحببت ، فأمضى متنزهاً فى بلادى أطيل التذكّر عما قاسيتُ من الآلام فى جنيف ، وبنادر المسرات التى ذقتها هناك . وملامح من أصدقائى وأهلى ، وطيفٌ من مكان قدّسته الذكرى ، أو شجرة ، أو صخرة ، أو زاوية شارع ، تتخايل لى ، فتنبهنى الى الواقع صيحات سقاء باريسى . واهاً ! كم أتألم عنـدئذ ! وكثيراً ما أعود الى حجرتى المنفردة عيىّ الجسد والروح ، فأجلس لأحلم أحلاماً مريرة مدلهمة فى بحران وهذيان » . . . « ألا ما أتعس الذى يأسف على ما قد يسـارع الى لمنه عندما يجده ! ليس لى حتى أن أستمتع بألمى ، لأن روح التحليل قائمة عندى على الدوام تشوّه كلّ شيء »

« . . . . . سآمة نفس ذبلت فى سن الحادية والعشرين ، الشكوك القاحلة ، الأسف المبهم على سعادة تراءت لى فى إبهام أيضاً كمجد الغروب على ذرى جبالنا ، أوجاع حسية ، وأوجاع ايدياليستية ، الاقتناع بأن الشقاء متأصل فى النفس ، اليقين بأن الثروة على ما فيها من كثير خير لن تجعل السعادة تامة : هـذا ما يفطّر نفسى البائسة . واهاً ! يا صديق الوحيد ، ما أتعس أولئك الذين ولدوا تعساء ! »

« ومع ذلك ، يخيل إلىّ أحياناً أن موسيقى تعزف فى الهواء لسمعى ، وأن ألحاناً شـجية غريبةً عن أنواع البشر تدوى من فلك إلى فلك لتنتهى إلىّ . ويخيّـل إلىّ أن ممكنات آلام جليلة هادئة تحط على أفق فـكرى ، كأنهار قصىّ الديار فى أفق الخيال . غير أن كل شيء يضمحل بقسوة الرجوع إلى الحياة المحسوسة ، كلّ شيء ! كم مرة قلت مع روسو : « يامدينـة الوحل والدخان ! كم تعذّب هنا صاحب تلك النفس الحنون ! وحيداً ، شريداً ، منكلاً مثلى — ولـكن أقلّ شقاء بستين عاماً من عصر جادّ خطير الحوادث — كان فى باريس ينتحب ، وأنا أنتحب . وسيأتى غيرنا ينتحبون . ياللفناء ! ياللفناء !

« . . . إلى الآن لا أربح شيئاً ، مع أن لى أصدقاء مخلصين يجهدون ليجدوا لى عملاً . . . . . .

« ياصديقى . أعود إلى رسالتى بعد أن بدأتها ، ثم استأنفتها . نحن فى ٣١ مارس والساعة الثامنة مساءً . أكاد أجنّ من فرط الألم ، ويأسى يفوق الاحتمال . تألمتُ اليوم ألماً يكاد لا يستطيع أن يتخيلهُ بشر . ثم داهمتنى الحمى فى هـذا المساء ، وما الحمى المحسوسة سوى فضلة الحمّى النفسية » . . . « اسمع » . . .

« قد اكتشفت شيئاً فىّ فعلمت أنى لستُ شقياً بسبب هذا الأمر

أو ذاك ، ولكنّ فىّ عذاباً مقيماً يتخذُ أشكالاً عدَّة . . . أنتَ تعلم أنى فى جنيف كنتُ أتخيل أنى لو نفذتُ إلى باريس كنت سعيداً . وأنا ، ياصديق ، هنا أعاشرُ أكبر الأدباء . . . . وأشعر أحياناً بنشوة الظفر فى الأندية والسهرات والاجتماعات . . . وما كلّ ذلك ؟ . . . إن فى أعماق حياتى سرطاناً آكلاً . . . منذ شهرين تجمعتْ قوى عذابى على نقطةٍ واحدة ، أخافُ أن أذكرها لك لفرط شـذوذها » . . . « ذاك المصدر المركزىّ لآلامى هو أنى لم أولد انجليزياً . أتوسل إليك ألا تضحك ، فعذابى مبرح . العاشقون حقاً مهووسون لاعتكافهم على فكرة واحدة تستغرق جميع تأراتهم . وأنا بعد أن كانت نفسى زمناً طويلاً فريسة جلبةٍ منوّعة ، أنا الآن مهووس أيضاً

« هاك منشأ غرامى بانجلترا : أنت تعلم أنى أحب أن أعيش مع الموتى متعرفاً حياتهم السالفة فأقطنها معهم وأسايرهم فى أحوال معيشتهم ، وأن أخلق بينى وبينهم تماطفاً يسرهُ وهمُ الزمن ، فلا يستطيع بعدُ أن يزعزعه وجودُ الأفراد . وأجد فى انجلترا خمسين شـاعراً على الأقل ، زخرت حياتهم بالمغامرات ، وعمرت كتبهم بالفكر وبالخيال . أما فى فرنسا فلا أجد ثلاثة . وفيما عدا ذلك ، قد كنتُ أحب من وطنى الانجليزى حتى مزاعمهُ اللاغيـة . ففى مزاعم انجلترا كثير من الشاعرية وكثير من الخيال . وبدلاً من أدبٍ واحد ، فللانجليز آداب أربعة : الأمريكى والانجليزى والاسكوتلاندى والايرلندى ، تُـكتبُ جميعاً بلغةٍ واحدة ولـكلّ منها خصائص تميزها . فأية ثروة أدبية ! . . .

« يوجد الآن ثلاثون شاعراً بين الأحياء ، كل منهم مستقلّ بشخصيته لاينتحلُ طريقةَ غيره ، وكل منهم خصيب . ياللثروة ! وياللمغامرات ساڤيج المسكين ، وشلى ! وأىّ عملاق هو بايرون ! كم من كنز عند هؤلاء للنفس التى تحبُّ الفرار من العالم لتلتق بأصـدقائها فى مخدعها ! وكم ذا يعتنى الانجليز بكتّـابهم ! إنهم يطبعون مؤلفاتهم فى جميع الأحجام ، وأى ذوق فى طباعتهم ، وكم من الخيـال فى نقوشهم ! وانظر إلى الأمة نفسها . فذوو السحنة الخسيسة فى انجلترا نادرون ندرة ذوى الهيئة الممتازة فى فرنسا ! كل ما فى تلك الأمة شاذّ . هناك تسود الحماسة فى ألف شكل . هناك إلى جانب الآراء الوضعية الأكثر صرامة ، تجد الترهات الأكثر نضارة . هذا بلد يحوى المذاهب الوضعية والنظريات الأيديالستية : فرنسا وألمانيا معاً . هو وحده له من القوة ما يكفى ليفهم كل شىء ، ومن العظمة ما يكفى كيلا ينبذ شيئاً . وأية ذاتية ! إنك لتميز الانجليزى بين ألف شخص . أما الفرنسى فيشبه الجميع . ووفرة الشيع الدينية فى انجلترا تثبتُ على الأقل خلوص النية فى نفوس تحتاج إلى الرجاء ولم تجفّـفْها الماديات . وشذوذ شبان الانجليز وتهوُّرهم ينم على نفوس يتنازعها القلق » . . .

« أتألم لشمورى بأنى فى غير مكانى وسـط شعبٍ طائش ثرثار ، ملحد ، ماحل ، ذى زهوٍ وبرودة ، فى حين أن الدنيا تحوى شعباً متديناً أو متطرفاً فى التشكُّك ، ولـكنه على الأقل لايعيش فى غير اكتراث ، شـعباً تجد فيه الأصدقاء الخلصاء ، والنفوس المتقززة ، وحيث الطيش نفسه ذو نكهة غريبة شاذة وليس له هذه الفجة الماجنة الفاترة التى تجدها فى فرنسا

« فى المطعم الذى أتناول فيه طعامى يوجد إنجليز وفرنسيون . ويا للفرق ! جميع الفرنسيين تقريباً مشاغبون صخابون عاديون ، وجميع الانجليز نبلاء محتشمون . وختاماً ، يا صديق ، أظن أن صديقاً يستطيع التحدُّث إلى صديقهِ عن غرامهِ ، لأن انفعال الحب يلاقى صـدىً فى جميع النفوس وليس فيه ما يستدعى الامتهان . على أن ألمى العارم مـن الشدة بحيث لا أستطيع التبيان ، ولأنه جد شخصىّ خاص فقد يبدو سخيفاً مزرياً للذين لم يشعروا بمثلهِ . ومع كل ذلك ، فهذا الجنون يشعرنى بآلامٍ مروّعةٍ لا تطاق . وكل شىء يرهفها : مشهد شخص انجليزى ، أو كتاب انجليزى ، حتى السخرية الموجهة إلى الانجليز تلتهمنى التهاماً ... وهوسى هذا يجعلنى أمجّ حتى الطمع فى المجد . أودُّ أن أكون شهيراً فى انجلترا ، وعلىّ لذلك أن أكتب بالانجليزية . . . لو كنت انجليزياً ، بمزاجى هـذا المريض ، لما تألمت دون ألمى الحاضر ، ولـكن معنى الألم قد كان يتغير . يخيل إلىّ أنى لو ولدتُ انجليزياً لا سـتطعت احتمال جميع آلامى . ولو ولدت لورداً انجليزياً من أهل اليسار ، بنفسى ومزاجى كما هما ، لـكانت جميع ميولى وجميع أطماعى راضية قانعة ، وعند ما أقارن بين هذا الحظ وحظى الراهن أجنّ . . .

« استأنفتُ دراسة الانجليزية منذ شهرين بنشاط وحماسة حتى صرت أقرأ الشـعر بسهولة . أفكر فى الذهاب الى انجلترا

والكتابة بالانجليزية بعد أعوام . صاحبي ج . ل . يسلفني شعراء البحيرات الانجليز . إنهم يفتنونني . وقد استبدلت بالكتاب الذي أرسلته أنت إليّ مجموعة مؤلفات بايرون في مجلد واحد ، وتلوت فيه قصيدة صغيرة ، « الحلم » ، فكان لها عندي وقع الصاعقة » . . . « تقول السيدة الانجليزية التي تعطيني دروساً إني بعد الاقامة بانجلترا عامين اثنين سأجيد كتابة الانجليزية ، لأني منذ الساعة أكتبها كما يكتبها قليلون من الفرنسيين . والواقع أني أنفق نصف نهاري في دراسة الانجليزية

« إن هوسي شديد دائماً ، فيا للضني ؟ وأني وجهت نظري وجدت التباريح . ومسائل العيش عندي ما زالت موضوع عذاب . أشتغل الآن في كتابة ترجمة حياة ، ولكني في حاجة إلى النقود ، بل أنا في ارتباكٍ عظيم من جراء ذلك » انتهى

* * *

وقد علق هوجو على هذه الرسالة في تبسط ، وبانشائه وبتوسّمه في اقتناص المعاني والاستشهادات ، مما يتعذّر نقله إلى العربية . إلا أني ألخّص من تعقيبه قوله : « عند ما نذكر أن الرجل الذي كتب هذا ، مات عليه ، تأملات من كل صنفٍ تتفجر من كل سطرٍ في هذه الرسالة الطويلة . أية رواية ، أي تاريخ ، أية سيرة هي هذه الرسالة ! » . . . « ليست هذه سيكولوجية تدرسُ على السمع أو على الجثة ، ولكنها تدرس في الأعصاب والأنسجة والعروق ، في اللحم الحيّ ينزُّ دماً ، في اللحم الذي يعول . أنت ترى الجرح وتسمع الصيحة

« كتابة خطاب كهذا في تفطّر وإهمال وجمال ، دون بؤس كبؤس أمبير جلوا ، كتابة خطاب كهذا بمجرّد مجهود الابداع الأدبي تقتضي العبقرية . أمبير جلوا متألماً يوازي بايرون . شيئان يجعلان الانسان شاعراً : العبقرية أو الغرام ، وهذا الرجل الذي كان نثره باهتاً وشعره فاتراً أصبح في خطابه كاتباً يستدعي الاعجاب . عند ما ينسى أن يطمع في أن يكون شاعراً وناثراً ، ينقلب شاعراً عظيماً وناثراً عظيماً . وسيبقى هذا الخطاب ، فقد اشتمل على خليط قد يكون أدهش من كلّ ما أنتجهُ الى الآن دماغ بشريّ في بابه ، وبتأثير تضاعف الألم الحسيّ والألم الأدبيّ ، والذين عرفوا جالوا يرون تشريحاً رهيباً ، تشريح نفس ، في هذا الخطاب المتوتر ، المضطرب ، الطويل ، حيث الألم يرشح قطرةً قطرةً مدى أسابيع وشهور ، حيث الرجل الذي يجري دمهُ ينظرُ الى دمهِ جارياً ، حيث الرجلُ الذي يصيح يصغي الى صوته صائحاً ، وحيث في كلّ كلمة دمعة »

« لاحوادث في هذه الحياة ، ولكن فيها أفكاراً . ان الأفكار تسرد حياة الرجل . بيد أن حادثاً عظيماً يهيمن على هذه الحكاية المكدرة ؛ وهو أن مفكراً مات من فرط البؤس ! هذا ما فعلته باريس ، مدينة الذكاء ، بفتىً ذكيّ . . . »

« . . . أمبير جلوا ليس فقط أمبير جلوا ، بل هو في نظرنا رمز الى طائفة معدودة من شباب اليوم الكريم . في داخل هذا الشباب عبقرية غير مفهومة تلتهمه ، وفي الخارج مجتمع ساءت أوضاعه ، يخنق الشباب والعبقرية . فلا منفذ للعبقرية المحاصرة في الدماغ ، ولا منفذ للانسان المحاصر في المجتمع »

« الذين يفكرون ويتولون الحكم لا يهتمون في أيامنا قدر الضرورة بحظ هذه الشبيبة الزاخرة بمديد الغرائز ، المتهافتة بحرارة ذكية ، وبصبر واحتمال على جميع اتجاهات الفنّ . جمهور هذه العقول الفتية المختمرة في الظل ، يحتاج الى الأبواب المفتوحة ، والى الهواء والنور والعمل والمسافة والأفق . ما أكثر ما يمكن عمله بهذا الجيش من الفطن ! كم من قناة يمكن حفرها ، وكم من سبيل يمكن تمهيدها في العلم ، وكم من مقاطعة يمكن غزوها ، وكم من عالم يمكن اكتشافه في الفن ! ولكن ، لا ! جميع المهن مغلقة أو مزدحمة . وهذا النشاط المنوّع الذي يستطيع أن يكون نافعاً مجدياً ، يُترك متراكماً ، مزدحماً ، مختنقاً في ضيّق الأزقة . قد كان هذا الشباب يكون جيشاً ، فاذا به غمارة . إن تنظيم المجتمع سيءُ حيال القبلين ، مع أن لكلّ ذي فكرٍ حقاً عند المستقبل . أليس محزناً حال هؤلاء المتألمين من ذوي العقول ، المستقر نظرهم على الشاطيء المنير حيث كثير من الأمور الساطعة من مجدٍ وقدرةٍ وشهرةٍ وثروةٍ ؟ . . . »

* * *

هذا بعض تعقيب هوجو ، وهو في عطفه شفيقٌ نبيل . ولهجته في كل هذا التعقيب تحملني على الاعتقاد بأنه عرف أمبير جلوا وأحبّه في حياته . ومن يدري ؟ قد يكون الخطاب موجهاً إليه لا إلى غيره ، وكون أمبير جلوا يرمز إلى الشبيبة المعذّبة صحيح من الناحية الواحدة

على أن لهذه الشبيبة نفسها رمزاً آخر ، هو ڤيكتور هوجو نفسه . فقد نشأ مريضاً ، فقيراً ، مجهولاً ، مكروهاً من أخويه اللذين كانا يحسدانه لمواهبه ، بين أبوين منفصلين ، فكان والده بعيداً لا يعنى بزوجته الأولى وبأبنائه ، فى حين أن الشخص الوحيد الذى يكبره ويحبه ، أى والدته ، أنكرت عليه حقوق عواطفه وحالت دون اتصاله بالفتاة التى جعلت للحياة رونقاً ومعنى عنده

وكان ڤيكتور هوجو باسلاً ، فاحتمل الألم بقوة أقوى من قوة الألم ، واستغل جميع المصائب والمصاعب والحوائل لانماء شخصيته واستحثاث مواهبه . فكان سيداً فى زمن عصفت فيه الاطماع وكثر فيه السادة والناهبون

إن ما كتبه عن أمير جيلوا موضوع تأمل لجميع القارئين . أما حياته وبسالته وانتصاره فمثال لجميع العاملين

« مى »

---

١ - لوكريسيا بورجيا

صور من عصر الاحياء

للأستاذ محمد عبد الله عنان

عصر الأحياء — إحياء العلوم — وشروق الأنوار على ظلمات العصور الوسطى ، وتفتح العبقريات العظيمة فى مختلف ضروب النبوغ الانسانى : فى العلوم والآداب والفنون ؛ وعصر المعارك والتطورات السياسية والاجتماعيـــة العظيمة ؛ وعصر اضمحلال الشرق ونهوض الغرب ؛ وذوى الحضارات الاسلامية الزاهرة ونشأة الحضارة الأوربية الحديثـة : ذلك هو عصر الأحياء الأوربى (الرينصانص) الذى ينبثق فجره فى إيطاليا منذ القرن الرابع عشر ، فى تلك الجمهوريات والدول الصغيرة الزاهرة ، التى تسطع تواريخها كاللآلئ فى حلك العصور الوسطى ؛ ثم لا يلبث حتى يغمر معظم أمم الشمال والغرب

ولكنه أيضاً عصر الانقلابات السياسـية والاجتماعية العنيفة ، والشهوات المضطرمة ، والمؤامرات والدسائس المروعة ؛ وعصر المعارك الدينية والفورات المذهبية ، وطغيان الأحبار ، وعصف مجالس التحقيق[1] ؛ وإذا كان يبدو فى إيطاليا من بعض النواحى فى أسطع وأبهى ألوانه ، فانه يبدو من بعض نواحيه الأخرى فى ألوان قاتمة ، فيما يجرف المجتمع الايطالى يومئذ من عوامل الفساد والانحلال ؛ وغمر اللهو والفجور والترف ، وتدهور معانى الفضيلة والحشمة والحياء ، واضطرام نزعة العدوان والاجرام والشر ، وعلى الاجمال فى تغلب الغرائز والشهوات المادية على المثل الروحية العليا

كان المجتمع الايطالى يومئذ ، كالمجتمع الرومانى فى عصوره الأخيرة ، يسطع بأشعة عظمته الأخيرة ، ويسطع فى نفس الوقت بحياة المجون العاصف ، والترف الناعم

***

فى أواخر القرن الخامس عشر تألق فى أفق ذلك المجتمع الايطالى الزاهر ، نجم أسرة جديدة طبعت تلك المرحلة من تاريخ رومة بطابعها الخالد ، وأسبغت مدى حين على المجتمع الرومانى آية من الفخامة والبهاء ، ونثرت عليه ألواناً من المرح الصاخب ، ولكنها بسطت عليه فى نفس الوقت ريحاً من التوجس والخشوع والروع

تلك هى أسرة بورجيا التى اعتلى مؤسسها وعميدها ردريجو بورجيا عرش البابوية باسم اسكندر السادس ، وأنشأ ولده الطاغية الدموى تشيزارى (سيزار) بالسيف والنار مملكة رومانية قصيرة المدى ؛ وأثارت حياة ابنته الحسناء لوكريسيا ثبتاً حافلاً من التواريخ والأساطير الشائقة

لوكريسيا (أو لوكريس) بورجيا ! تلك الحسناء الفاتنة التى تحيطها الروايات المعاصرة أحياناً بألوان ساحرة من البهاء والفخامة ، وأحياناً بألوان مثيرة من الاثم والفحش ، وتصورها أحياناً ملكاً كريماً يسمو عن ذلك المجتمع الرومانى الفياض بالدس والفجور والجريمة ، وأحياناً بغياً سحيقة تنحط إلى أسفل درك من الاثم والرذيلة ، هى نموذج لتلك الشخصيات النسوية الساحرة التى يثير جمالها وسحرها حولها نوعاً من الغموض والخفاء ، فلا يستطيع التاريخ أن يقول فيها كلمته بعيدة عن مؤثرات الرواية والخيال

(١) تقصد بها المحاكم الكنسية التى تعرف خطأ « بديوان التفتيش » (Inquistion)

كانت لوكريسيا ابنة للكردينال ردريجو بورجيا من خليلته الرومانية روزا فانوزا . وكان ردريجو ينتمي إلى أسرة اسبانية نزحت قبل ذلك إلى إيطاليا وسمت إلى بعض الوظائف الكنسية الرفيعة ، وتولى أحد أعضائها كرسي البابوية باسم اسكندر الثالث ، ورقى ردريجو ولد أخيه إلى مرتبة الكردينال . وكانت فانوزا كانتاني فتاة حسناء من أسرة طيبة ، وكانت زوجة لسيد يدعى دى كروشى ، يشغل وظيفة في الديوان الرسولي ، فهام بها الكردينال ردريجو ، وأغضى كروشى عن تلك العلاقة الغرامية لما غمره به الكردينال من صنوف الرعاية والبذل . ورزق الكردينال من خليلته بأربعة أولاد هم : بيدرولويس الذي توفى حدثاً ، وجوفاني (جان) وشيزارى (سيزار) ولوكريسيا ، وجوفرى . وكانت فانوزا تقيم مع أولادها في منزل يجاور قصر الكردينال ؛ ولم تكن علائقهما سراً ، بل كانت أمراً ذائعاً في المجتمع الروماني ، حتى أن فانوزا كانت تدعى فانوزا بورجيا

وعهد الكردينال ردريجو بتربية ابنته لوكريسيا إلى ابنة عمه ادريانا دى ميلا أورسيني ، وهي سيدة رفيعة المقام والخلال يثق بها أعظم ثقة ؛ فبعثت بالطفلة إلى دير القديس سكستوس في وادى « الابنين » على مقربة من رومة ؛ وتلقت لوكريسيا هنالك تربية دينية عميقة ودرست الايطالية والاسبانية والفرنسية واللاتينية والرسم والموسيقى ، وتلقت بالجملة تربية تليق بأميرة عظيمة

وفى سنة ١٤٨٩ ، هجر الكردينال ردريجو خليلته فانوزا واستبدلها بفتاة رائعة الحسن تدعى جوليا فارنيسى ؛ ورأى حرصاً عليها أن يزوجها ، فزوجها بفتى يدعى أورسينوس وهو ابن لابن عمته ادريانا . وكانت لوكريسيا عندئذ في التاسعة من عمرها – لأنها ولدت سنة ١٤٨٠ – وبعد عامين فقط رأى والدها أن يزوجها ، وعقدت خطبتها على فتى نبيل اسباني يدعى الدون شيروبان ؛ ثم ألغيت هذه الخطبة بعد بضعة أشهر فقط ، وعقدت خطبة لوكريسيا على نبيل اسباني آخر يدعى الدون جسبارو ، وذلك في ابريل سنة ١٤٩٢ . وكانت لوكريسيا عندئذ في الثانية عشرة ، وكان خطيبها في الخامسة عشرة

ولم تمض سوى أشهر قلائل حتى وقع حادث عظيم في حياة ردريجو بورجيا . ذلك أنه في ليلة ١١ أغسطس سنة ١٤٩٢ ، انتخب لعرش البابوية ، وتولاه باسم اسكندر السادس ؛ وكان عندئذ في الحادية والستين

وكان اسكندر السادس من أعظم الأحبار الذين تولوا كرسي القديس بطرس ؛ وكان رجلاً وافر الذكاء والعزم ، وافر الدهاء والجرأة ، قوى الشكيمة ، مقداماً لا يحجم عن وسيلة لتحقيق مشاريعه . وكان يعشق حياة المجون واللهو ويشغف بالمرح الخليع ، ويهيم رغم سنه بالنساء الحسان ، ويعيش في بذخ طائل . وكانت مآدبه وحفلاته الشائقة من أعظم ظواهر الحياة الرومانية يومئذ ، ولكنه كان رغم بذخه ومجونه وخلاعته يقبض على مصاير الكنيسة والبابوية بيد من حديد ، ويوجهها طبق ارادته ، ويأخذ بقسط وافر في مجرى الحوادث السياسية العظيمة التي كانت تجوزها الدول الايطالية يومئذ ؛ وكان يقرن مصاير الكنيسة بمصاير أسرته ، ويعمل لمجد أسرته وأولاده ، ما استطاع سبيلاً ، ويعد ابنه الأكبر شيزارى لمستقبل عظيم باهر ؛ وقد ترك لنا الكردينال دى فتربو زميل اسكندر السادس ومعاصره عنه وعن مجتمع عصره تلك الصورة القوية الآتية :

« كان اسكندر ذا ذكاء خارق ؛ وكان بارعاً ، حازماً ، نشطاً ثاقب النظر ، ولم يعمل أحد من قبل قط بمثل براعته ، ولم يقنع بمثل صرامته ؛ أو يقاوم بمثل ثباته . وكان يبدو عظيماً في كل شيء ، في تفكيره وفي كلامه وفي عمله وعزمه ؛ ولو تفتحت المواهب التي يتمتع بها ، ولم تخنقها رذائله العديدة ، لكان أميراً وافر العظمة ، وكان يخيل لمن يشهده في القول أو العمل أنه لم يكن ينقصه شيء ليقود العالم ؛ فقد كان دائماً على أهبة لأن يحرم نفسه متعة الراحة ، وكان يسرف في ملذاته ، ولكنها لم تحل مطلقاً دون حمله عبء الشئون العامة . بيد أنا لا نستطيع رغم اتصافه بهذه الخلال أن نقول إن عهده امتاز بيوم سعيد ؛ ظلمات وليل عميقة . ولنضرب صفحاً عن هذه المآسي المنزلية المروعة ، ولكن الاضطراب في الأراضي الكنسية لم يكن أشد وأخطر ، ولم يكن السطو أكثر ، والقتل والعيث في الطرق العامة أروع ، ولم تكن طرق السفر أخطر ، ولم تشهد رومة من قبل قط أياماً أسوأ ساد فيها الشر والجريمة واللصوص ، ولم يكن ثمة حق ولا حرية . كان المال والقوة والفجور صاحبة السلطان والحول ؛ ولم تتحرر ايطاليا من النير الأجنبي إلا يوم

انهار ذلك الطغيان البربري »

* * *

كان اسكندر السادس أباً رحيما ، يحب أولاده حباً جماً ؛ وكان أول عمل عائلي قام به إثر ارتقائه عرش البابوية ، هو الغاء خطبة ابنته لوكريسيا لدون جسبارو ؛ ذلك أنه لم يبق بعد قريناً كفؤاً لابنة سيد الكنيسة وخليفة النصرانية ؛ وأرغم دون جسبارو على التنازل عن الخطبة نظير مبلغ من المال ، وطرحت مسألة زواج لوكريسيا على بساط البحث كرة أخرى . وهنا تدخلت العوامل السياسية التي أخذت تملي على اسكندر السادس خططه ومشاريعه في تقرير مصير ابنته ؛ ذلك أن صديقه الكردينال اسكانيو سفورزا الذي كان أكبر عون له على ارتقاء عرش البابوية سعى لعقد التحالف بين البابا وبين أخيه لودفيكو سفورزا طاغية ميلان ضد آل أورسيني أقوى أمراء رومة الاقطاعيين ، وحماتهم آل أراجون ملوك نابولي ، ورأى توطيداً لهذا التحالف أن تزوج لوكريسيا من ابن أخيه جان سفورزا أمير بزارو ؛ وأثمر سعي الكردينال ، وعقد الزواج في رومة في ابريل سنة ١٤٩٣ ؛ وكانت لوكريسيا يومئذ في نحو الثالثة عشرة ، ولكن سجل في عقد الزواج أنها بلغت السن المرغوبة ، وكان جان سفورزا في السادسة والعشرين

واحتفل بزفاف لوكريسيا في قصر الفاتيكان في ١٢ يونيه احتفالاً فخماً شهده أكابر الأحبار والأمراء والسفراء ؛ ومثل جان سفورزا على يد وكيله المختار طبقاً لرسوم العصر ؛ وفي المساء اقيمت حفلة شائقة في قصر بلفيدير ، تحت اشراف جوليا فارنيسي خليلة البابا ونخبة من سيدات رومة ، وشهدها اسكندر السادس وأعضاء أسرته . ويصف البابا شاهد عيان لهذا الحفل في قوله : « كان عظيم القامة ، مورد الوجه ، أسود العينين ، يفيض صحة ظافرة ، تمكنه من تحمل أعباء المنصب ، وشؤون الدولة ، وعصف الملاذ ، وكان دائماً متألقاً ظريفاً رقيقاً » . أما لوكريسيا بورجيا فقد كانت عندئذ فتاة صغيرة القد ، وافرة الحسن ، شقراء تسطع كالذهب ، خفيفة الروح والخلال ، دائمة المرح ، تزيد في سحرها الطبيعي القاهر ، مسحة من الحياء وحيا عذرى ، أو كما يصفه بعض الرواة المعاصرين محيا كاثوليكي ، هو مظهر تربيتها الدينية ، وحياتها في الدير ، وتفيض نظراتها رقة ووقاراً »

وأفرد البابا لابنته قصر سان مارتينللو المجاور للفاتيكان ، وعين لها خليلته جوليا فارنيسي وصيفة شرف تقيم معها ، وكان قد فرق نهائياً بينها وبين زوجها ؛ وكانت كلتاهما آية ساطعة من الجمال والسحر ؛ واستمرت لوكريسيا مقيمة في رومة حتى صيف سنة ١٤٩٤ ، وعندئذ حل برومة وباء الملاريا ، فبادرت لوكريسيا الى مغادرة رومة مع زوجها الى قصره في مدينة بزارو تصحبها في هذه الرحلة والدتها ڤانوزا ، وجوليا فارنيسي ، وعمتها ادريانا أورسيني ، فوصل الركب الى بزارو في ٨ يوليه . وكانت بزارو مدينة متواضعة ، ولكن بديعة الموقع تشرف على وديان نضرة على مقربة من الأدرياتيك ؛ وكانت إمارة متواضعة لاتقاس بأمارات فيرار ، وأربينو ، ومانتوا وغيرها من الأمارات الزاهرة في ذلك العصر ؛ ولكن لوكريسيا كانت ذهناً رضياً متواضعاً ، فتذوقت حياتها الجديدة بسرعة ، وقضت في بزارو زهاء عام كامل

ثم استدعتها بواعث الأسرة والسياسة الى رومة ، فعادت اليها مع زوجها بمناسبة زواج أخيها الأصغر جوفري من دونا سانسيا وهي ابنة غير شرعية لألفونسو الأرجوني ملك نابل (نابولي) ، وأقامت لوكريسيا مع زوجها الى جانب أبيها وإخوتها في رومة ؛ وكان اسكندر السادس يحرص على أن يستبقي أولاده حوله في المدينة الخالدة ؛ فكان ولده جان أو دوق جانديا يقيم معه في قصر الڤاتيكان ، ويقيم شيزاري في حصن سانت انجلو المجاور للڤاتيكان ، وأخوه جوفري على مقربة منه ؛ وتقيم لوكريسيا وزوجها في قصر آخر مجاور للڤاتيكان

وغدت لوكريسيا وزوجة أخيها سانسيا زينة الحفلات الرسمية والاجتماعية في الڤاتيكان ، وكانت سانسيا فتاة وافرة الحسن ، وافرة الجرأة ، عنيفة الشهوات ، يقال إنها كانت تصطفي العشاق من الأمراء والكرادلة . وأما لوكريسيا فكانت متحفظة ، ولكنها كانت ترغم بحكم الظروف على خوض هذه الحياة الباهرة المنحلة التي كانت تسود قصر الڤاتيكان ؛ وكانت أداة مسيرة في يد أبيها البابا وأخيها الطاغية شيزاري ؛ ولكنها كانت دائماً فياضة المرح فياضة البهجة ، وكانت روح هذه الحفلات الباذخة الصاخبة التي كان يعشقها البابا ، والتي كانت دائماً مثار الأقاويل والظنون

وكان يسود ذلك المجتمع الرومانى الرفيع يومئذ نوع من الفساد الشامل ، وتغلب فيه حياة الفجور والمرح ؛ وما قولك بمجتمع يقدم فيه سيده وزعيمه الروحى — البابا — أسوأ المثل الأخلاقية ، فيصطفى الخليلات جهاراً ، وينتزع الزوجات من أزواجهن ؛ ويقتنى فيه شيوخ الدين من كرادلة وأساقفة الخليلات جهاراً ، وتتنقل فيه الزوجات الشرعيات ، زوجات الكبراء والأمراء بين أحضان العشاق من مختلف الطبقات ، ويغمره ظما التهتك والخلاعة ، ويغفل فى حفلاته وفى مرحه ومجونه كل مظاهر الحشمة والحياء ؟ هكذا يصف لنا بوركارت[1] مجتمع رومة فى عصر آل بورجيا . وقد كان بوركارت يومئذ مدير التشريفات البابوية ، وكان شاهد عيان لكثير من الحوادث والمظاهر والظروف التى امتاز بها العصر ؛ وقد ترك لنا من حوادث عصره ومجتمع عصره مذكرات نفيسة سنعود إليها من آن لآخر

كانت لوكريسيا بورجيا من آلهة هـذا المجتمع ؛ وكان يثور حولها من الريب والظنون ما يثور عادة حول « إلـهة » للجمال والحب . هل كانت هـذه الفتاة الشقراء الفاتنة التى لم تجاوز السابعة عشرة من عمرها كما تصورها الرواية المعاصرة بغياً سافلة تتقلب بين أذرع عشاق لا حصر لهم ؛ بل تتقلب بين ذراعى أبيها ـ البابا ! ـ وبين أذرع إخوتها ؟ أم ظلمتها الرواية وبالغت فى اتهامها اعتماداً على ظواهر خادعة ؟ هذا ما سنحاول أن نناقشه فى البحث

للبحث بقية
النقل ممنوع

محمد عبد الله عنان
المحامى

(١) فى كتابه أو مذكراته اللاتينية المسماة Diarium أو «اليوميات»

بين الفقه الاسلامى والرومانى

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى

رئيس المجمع العلمى العربى

. . . . وقع نظرى على ما كتب أخيراً فى مجلة (الرسالة) بشأن علاقة الشرع الاسلامى بالشرع الرومانى ، وقد كان بعض الفضلاء من الشبان المسيحيين حملة الشهادات الحقوقية العالية — منذ بضع سنوات — كتب فى (مجلة قضائية) تصدر فى منطقة سورية سمتها السياسة (منطقة العلويين) وهى متصرفية اللاذقية — كتب فى هذا الموضوع كتابة خشنة تدل على أن القوم يريدون أن يجزدوا الاسلام ونشأته من المزايا القدسية . وقد رددت عليه يومئذ بهذا المقال ، وسلكت فى الرد مسلكا ربما أعجب الباحثين لديكم ؟

المغربى

لقينى بعض الأصدقاء فى سوق الحميدية فجذبنى من يدى إلى مخزنه وقال : تعال انظر

وإذا هو يرينى العدد ٢٢ من مجلة « الأبحاث القضائية فى دولة العلويين »

وإذا فى فاتحتها مقال للسيد ميشيل بولص حامل رتبة العالمية (الدكتوراه) فى الحقوق ، وإذا موضوع المقال « الوكالة الدورية » وإذا نتيجة الموضوع — كما لخصها كاتب المقال — ما نصه :

« إن الوكالة الدورية إنما هى طريقة رومانية . وشكل هذه الوكالة وأصولها وكيفية استعمالها هى هى عند العرب المسلمين كما كانت عند البيزنطيين . و « السُّنة » فى الاسلام ما هى إلا مجموعة القوانين الرومانية فى عصر الفتح العربى . وإن المبدأ السارى منذ الأجيال بين علماء الغرب والشرق بأن الشرع الاسلامى مستقل تمام الاستقلال عن بقية الشرائع اللاتينية ـ ليس إلا أسطورة لا أساس لها ! ! ! والأحاديث الاسلامية مختلقة اختلاقاً بدليل أن الامام الأعظم أبا حنيفة لم يعترف إلا بسبعة عشر حديثاً من أربعمائة ألف حديث » ـ اهـ

هـذا ما صرح به الأستاذ ميشيل بولص فى بلادنا العربية

وبلغتنا العربية .. فكيف ترونه يقول لو أراد أن يكتب عن الشرع الاسلامى في بلاد أجنبية بلغة أجنبية ؟

هذا ما قاله عن السنة النبوية بين ظهرانى قوم توفروا من علوم الدنيا على حفظ تلك « السنة » والاستيثاق من صحة أسانيدها ، والتقرب إلى الله بخدمتها . ثم بعد هذا كله يقول الأستاذ ميشيل عنهم إنهم لم يعملوا شيئاً سوى انهم أوجدوا للعالم فى السنة نسخة ثانية من مجموعة القوانين الرومانية . فكيف تكون جرأته أو أمانته فى النقل إذا أراد أن يكتب لنا مقالاً فى علم يجهله المسلمون سكان هذه البلاد كل الجهل ؟ ؟

يقول بعضهم : ولكن الكاتب إنما كتب فى مجلة تصدر فى بلاد العلويين للعلويين . وا وطناه ! كأن بلاد العلويين فى عالم المريخ وليست جزءاً من وطننا ؟

وكأننا لسنا على مقربة من بلاد العلويين نسمع ونرى ؟ وكأنه لا يوجد فى بلاد العلويين فقهاء راسخون ، وحقوقيون متضلعون ؟

كأن العلويين إنما سمُّوا علويين من أجل أن يُطمَّنوا فى كرامتهم ، ويُساوَمُوا على إسلاميتهم !

وأية كرامة تبقى إذا قيل لهم : إن « علياً » الذى اشتق اسمكم من اسمه الكريم ما كان يقاتل ويناضل لأجل تأييد سنة الاسلام ، وإنما كان يقاتل ويناضل من أجل تأييد سنة « يوستينانيوس » ملك الرومان ؟

وبعد ، فاذا اقتضت حالة الرومانيين الاجتماعية أن يستندوا فى بعض معاملاتهم على « الوكالة الدورية » فقرروا أحكامها فى قوانينهم ، ألا يوجد فى الاجتماع الاسلامى حالة تشبه تلك الحالة تستدعى تقرير أحكام الوكالة الدورية فى فقه المسلمين أيضاً ؟

لا جرم أن طبائع الأمم والشعوب وأخلاقها وأطوارها مترشحة من ينبوع « الانسانية » الأعظم .

والانسانية مهما اختلف أبناؤها فى ظواهر الاجتماع ، يبقون متحدين فى جواهر الأخلاق والعادات والطباع

والشرائع سواء أكانت سماوية أم وضعية إنما تستند إلى هذه الأخلاق والعادات ، فكثيراً ما تشابه الشرائع بين الأمم بسبب تشابه الأمم نفسها فيما ذكرنا من الأخلاق والعادات

فاذا وجدنا فى الشريعة الاسلامية أحكاماً تشبه أحكاماً مقررة فى الشريعة اللاتينية مثل « إن البيع يتم بإيجاب وقبول » لا ينبغى لنا أن نتسرع فى الحكم بأن الشريعة الأولى اقتبست من الشريعة الثانية مباشرة ، ولا سيما إذا كان هناك أسباب جوهرية تدل على عدم إمكان هذا الاقتباس .

إذ كيف يتصور من أئمة الاسلام الذين حرموا التصوير ابتعاداً عن الوثنية — أن يقتبسوا أحكاماً مدنية من شريعة وثنية ، وهم يعتقدون أن العمل بهذه الأحكام المدنية عبادة يتقرب إلى الله بها كما يتقرب إليه بممارسة الصوم والصلاة !

خلفاء الاسلام إنما رحبوا بالفلسفة اليونانية لأن نظرياتها لا رائحة للديانة الوثنية فيها . أما الآداب اليونانية والميثولوجيا والتمثيل والأيلياذة والفنون الجميلة فلم يجرؤ الخلفاء على ترجمتها إلى لغة الاسلام ، وذلك لأنها مشبعة بروح الوثنية ، ومشربة بروح عقيدة تعدد الآلهة . فهل يعقل أن يجرؤ أئمة الاسلام الأتقياء الورعون على انتحال شرائع وثنية تتعلق بالحلال والحرام ، ويدخلونها فى فقه الاسلام ، وهم يعتقدون أن كل حكم شرعى لا يستمد من محمد (ص) وقرآنه وسنته باطل بل كفر .

كل إمام من الأئمة الأربعة كان يبرر نفسه رافعاً صوته أمام الجماهير من المسلمين بأن مذهبه وسنده فى استنباط الأحكام إنما هو القرآن وحديث النبى (ص) الذى ثبتت صحته ، وإلا فانه يقيس الحكم على حكم آخر مستنبط من حديث يطمئن اليه قلبه

بهذه الصورة من الاخلاص والورع والتمسك بتعاليم محمد (ص) حاز الأئمة ثقة المسلمين كلهم ، فوقروهم وعظموهم وقلدوا مذاهبهم ولم يعولوا على غيرها من المذاهب

وقد بلغ الورع فى هؤلاء الأئمة حداً لم يقع مثله فى أمة من الأمم . حتى إن أبا حنيفة سجن وضرب ولم يتول القضاء مذ بلغه أن نبيه قال : « من تولى القضاء فكأنما ذُبح بغير سكين » ؛ وأحمد بن حنبل لم يأكل البطيخ طول عمره لأنه لم يبلغه كيف كان نبيه (ص) يأكله : أيقطعه بالسكين ويتناوله قطعة قطعة ، أم يمسك الحزة بيده ثم يتناولها بأسنانه ؟

أئمة هذا ورعهم وتشددهم فى تقليد نبيهم فى الأشياء المباحة ؛ أيتصور فى العقل أن يحيدوا عن شريعته الى الشريعة الوثنية ، شريعة الأمبراطور الرومانى « يوستينانيوس » فيستندون اليها فى تقرير أحكام الحلال والحرام التى هى الطريق الوحيد الى الجنة

والنار ؟ وقول الأستاذ ميشيل إن أبا حنيفة لم يعترف إلا بسبعة عشر حديثاً ليس معناه ما ظن . وإنما المعنى أن هذه الأحاديث القليلة هي التي بلغت في الصحة والثبوت ما يقرب من درجة القرآن . وإلا فان بقية الأحاديث الأخرى لها درجتها . وبحسب هذه الدرجة تستنبط منها أحكام ليست في وجوب العمل بها كوجوب العمل بأحكام الأحاديث التي ثبتت صحتها عند الامام أبي حنيفة ، بدليل أن تلاميذ هذا الامام (أبو يوسف ومحمد وزفر) الذين دونوا فقهه وشرحوا مذهبه كانوا يعتمدون في استنباطهم على أحاديث أخرى غير القليل الذي اعترف به أبو حنيفة بعد أن يمرضوها على قواعد فن « مصطلح الحديث » . على أنه لو فرض أن أبا حنيفة لم يعترف إلا بأحاديث قليلة لكان ذلك من أدلة ورعه وحرصه على متابعة نبيه (ص) ، فهو يخشى أن يعمل بحديث لايثق بصدوره من النبي ، وهذا هو السبب في انكاره الكثير من الأحاديث ، فهو قد أنكرها تورعاً وخشية ألا يكون تابع النبي (ص) ، ولم ينكرها استهتاراً وجنوحاً الى شريعة الرومانيين الوثنيين

أحاديث مروية بالسند : فلان التابعي الجليل عن فلان الصحابي الكريم ، ولكل واحد منهم ترجمته وسيرته ، يتورع أبو حنيفة فلا يثق ببعض ماروى عنهم ، ثم هو بعد ذلك يجيز لنفسه العمل برواية بطرس عن فيلبوس عن نيقولاوس عن الملك « يوستينانيوس » ! ! ! سبحانك هذا بهتان عظيم !

لما فتح المسلمون البلاد التي كانت خاضعة للرومانيين وجدوا لأهلها عادات راسخة ، وأحكاماً متوارثة ، فأقروهم عليها ، وبعضها ينطوي تحت أصول الاسلام الثابتة بالقرآن ، وعمل النبي (ص) والصحابة : مثل « العادة محكمة » « المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً » ، « لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » ، « استعمال الناس حجة يجب العمل بها » ، « التعيين بالعرف كالتعيين بالنص » فاذا اعتبر أئمة الاسلام تلك الأحكام اللاتينية التي يعمل بها سكان تلك البلاد وأقروهم عليها ، ثم دونوها أو دونوا نظائرها في كتبهم الفقهية ، لايكون ذلك منهم اعترافاً بشرائع اللاتين وإذعاناً لها ، وإنما هو منهم عمل بأحكام مستندة الى القواعد الاسلامية من القرآن وسنة النبي (ص)

وهم كما دونوا في كتبهم الفقهية أحكاماً تشبه الأحكام الرومانية دونوا أيضاً أحكاماً تشبه أحكام شرائع الفرس والترك والتتار الطورانيين وغيرهم من الأمم التي فتحوا بلادها

فمن جملة القواعد في مجلة الأحكام الشرعية :

« إن الحاجة سواء كانت عمومية أو خصوصية تنزل بمنزلة الضرورة ، ومن هذا القبيل تجويز « البيع بالوفاء » فانه لما كثرت الديون على أهالي بخارى جوزت هذه المعاملة لداعي الاحتياج » اه . فهل يقوم أحد من الكماليين فيزعم أن « البيع بالوفاء » شريعة طورانية عمل بها أئمة الاسلام كما عملوا « بالوكالة الدورية » التي هي شريعة رومانية في رأي الأستاذ ميشيل !

إذا رأينا الشاعر العربي « معروف الرصافي » وافق « كيبلنغ » الشاعر الانكليزي في بعض معانيه الشعرية المبتكرة فهل يسوغ لنا أن نقول إن ديوان « معروف » هو نفس ديوان « كيبلنغ » مع أن شاعرنا لايعرف الانكليزية ، ولاعاش في وسط انكليزي ولا اجتمع بكيبلنغ ولا برواة شعره ، وإنما هو توارد الخواطر

ونحن إذا راجعنا تاريخ حياة أئمة الاسلام نراهم قد عاشوا في محيط اسلامي محض : الكوفة ، وبغداد ، ومكة ، والمدينة ؛ ثم سكن « الشافعي » مصر ودفن فيها ، لكنه جاءها قبل وفاته بنحو خمس سنين

فأئمتنا ما عرفوا لغة لاتينية قط ، ولم يدرسوا فقهاً لاتينياً قط ، ولم يباشروا مشترعين لاتينيين قط ، ولو لوحظ من أحدهم شيء من ذلك لسقط اعتباره وتحاماه المسلمون ، ولما كان اماماً واجب الاتباع

ومن العجب قول الأستاذ ميشيل إن « السنة » في الاسلام ما هي إلا مجموعة القوانين الرومانية ؛ إذن كان محمد (ص) عضواً في مجلس العشرة الذين جمعهم الملك « يوستينانيوس » تحت رياسة الفقيه الروماني « تريبونيان » فقام في الحجاز وانتحل ماتعلمه من القوانين الرومانية التي وضعها المجلس الروماني وبشر بها المسلمين ! ! !

ذكرت بهذا ما كنت سمعته من القومانداان الفرنسي « ميلانجو » مدير مدرسة الترجمة في دمشق (وقد توفي) — قال لي : إن بعض أهل بلادنا (يعني الأوربيين) يتحدثون أن « محمداً »

كان أسقفاً مسيحياً ، فطمحت نفسه الى رتبة كهنوتية فوق رتبته ، فغضب عليه البابا فحرمه ، فادعى النبوة نكاية به ! ! !

قال لى المرحوم ميلانجو هذا القول مستغرباً مستحيياً بعد أن عاشر فضلاء المسلمين فى الجزائر ودمشق ، وفهم حقائق كثيرة عن الديانة الاسلامية جعلته على قاب قوسين من اعتناقها

والأعجب من قول الأستاذ ميشيل السابق قوله الآخر : « إن الأحاديث الاسلامية مختلقة اختلاقاً » ، أى إنها كلها مكذوبة على النبي

لكن أيصح من حضرته هذا الحكم الجائر على الأحاديث لوجود طائفة من الأحاديث موضوعة مكذوبة ؟

إن دعواه هذه كدعوى أحد المسلمين أن الأناجيل الأربعة باطلة لا أصل لها ، لأن هناك أناجيل وهى المسماة « أبو كريف » موضوعة لا أصل لها ! !

والعجب الثالث ، (وهو لعمرى مثار للدهش أيضاً) قول الأستاذ ميشيل :

« إن المبدأ السارى منذ الأجيال بين علماء الغرب والشرق بأن الشرع الاسلامى مستقل تمام الاستقلال عن بقية الشرائع اللاتينية ، ليس إلا أسطورة » ! !

إذن قام الأستاذ ميشيل فى « وجه علماء الغرب والشرق » يفهمهم حقيقة يجهلونها ، ويبرهن على كذب أسطورة يزعمونها وهى أن شريعة الاسلام شريعة لاتينية ! !

أدرك هذا هو وحده ، وجهله علماء الشرق والغرب ! !

وإذن يحق لى أن أنسحب من ميدان البحث وأترك الكلام فيه لعلماء الشرق والغرب ، فلعل فيهم من يقدر بزلاقة لسانه ونصاعة بيانه أن يقنع حضرة الأستاذ ويفهمه خطأه

أإلى هذ الحد يجهلنا ابن وطننا الأستاذ ميشيل بولص ويجهل تاريخنا الدينى ؟

أيصح لأبناء أمة واحدة ، فى بقعة واحدة ، أن يجهل بعضهم بعضاً كل هذا الجهل ؟

وأخيراً أقول : إن ابن وطننا الأستاذ ميشيل لم يسىء الى الأمة الاسلامية وكرامتها ، بقدر ما أساء الى « الدكتوراه » وشهادتها .

عبد القادر المغربى

الجمال فى الشعر والحب
(المرأة)

للأستاذ الحومانى
صاحب مجلة العروبة البيروتية

الجمال وحى الطبيعة يلهمه الشاعر من أبنائها ليكون صلة بينهم وبين المثال الأعلى فى الحياة . فهو رسول أمه الطبيعة يرسل بنات أفكاره إلى قومه فترفع بيمينها حجاب الغفلة عنهم ، ثم تمر بها على أعينهم فتمسح عنها غشاء الجهل ، وتقابلهم بيسارها بمرآة الحياة فيتبينوا فيها من نفوسهم البائلة رموزاً تشير لهم إلى مُثُل الحياة العليا

والشاعر ينشد الجمال فى كل شىء فيفتتن بكل جزئى منه ، ولكنه أشد افتتاناً بما هو إلى الروح أقرب منه إلى المادة ، ولا أقرب إلى الروح من هذا الذى يشاركه الشعور بالحياة وينشد معه ذلك الجمال

يفتتن بالمرأة التى هى رمز الجمال التام فى الحياة ، يفتتن بها للجمال ، ويفتتن لها بكل مافى الحياة من جميل يشعر به . فالجمال التام علة لفتنة الشاعر بالمرأة ، أما المرأة فهى علة لفتنته بكل مايشير إلى هذا الجمال الكلى من جمال جزئى فى نبات أو جماد ، فالشاعر ينشد الجمال فى الحياة ولن يظفر به كما يشاء إلا عن طريق الحب :

وهل المرأة إلا رمز الحب الخالد ؟

الشاعر كالطائر يحلق فى أفق الجمال ، وكما يقع الطائر على الشجر يفتش عن الثمرة الناضجة ليتقوّم بها ، حتى إذا بلغها وقف حيالها يداعب الروض من على فننه ، هكذا يقع الشاعر على المرأة إلـهة الجمال يستلهمها الشعر فيشخص اليها وهى بيمينه تمر على وجهه بيدها البضة ، وتمسح عينيه ببنان يحس روحها من ورائه ترف على أهدابه

فهو من أجلها « يصعد الرابية ، والقمر يهبط من عليائه ، فيفترش الترب ، ويتوسد الصخر ، يصغى إلى مجئ الكواكب فيستوحى منها الشعر ثم يلهمه الطبيعة ؛ حتى إذا تنفس صبحه ،

وهبط إلى الأودية فهام فيها عائماً في بحر ضبابها ينشد هذا الجمال ، وقفت به آلهة الشعر بين الرياض ، والصبح لما تخمد أنفاسه ، فأحنى على الورد يلثمه ، وعلى النرجس يمسح دمعه ، يضع خده تحت الزهرة ويده فوق كبد يكاد يعصرها دماً ينحدر على وجناته » (١)

وهو من أجل آلهته تلك « يمسك الماء ، ويقبض على الريح ، سعياً وراء الجمال في الحياة ، وهو هائم به ، ولعله الروح التي تخفق بين جنبيه ، والشعر الذي يحوم على شفتيه »

يستحيل على الشاعر ، وهو رسول الجمال ، أن يكتم شعوره ، فما بينه وبين إبلاغ رسالته إلا أن يشعر ، وربما بلّغ هذه الرسالة بدمعه :

وإذا الحزين بكى ولم يك شاعراً   فالشعر ما نطقت به عبراته

« أو ما تراه ، وقد جلس إلى ظل سرحة ، أو إلى جنب صخرة ، على رابية يراقب منها نزاع الشمس بين يدي المغيب ، فتحس كأن شعوره يغيب معها في ظلمات الحزن ؟ ؟ ؟

وقد يحنو على الزهرة في حر الظهيرة يقيها لفح الهاجرة بنفسه ، فكلما ألوى بها الذبول شاطرها جفاف الرونق وشحوب اللون ، وربما لصقت بالأرض فغسلها بدمعه وود لو واراها في حنايا ضلوعه »

ذلك هو الشاعر الصامت ، لم يخلد بشعره لكن بروحه الشاعرة ، ولم يشعر بلسانه لكن بقلبه المتفجر عيوناً تفيض بالدمع على خديه

يفتنّ الشاعر في وصف المرأة وتأثير جمالها لا ليعلن هذا الجمال الى الملأ ولا ليلفت إليه نظر الغافل عنه فحسب ، وإنما يريد بذلك الى تأدية ما حُمّل من أمانة ، أن ينادي على جمال نفسه بما أدرك من جمال ، ثم ليثبت في نفس السامع ما يحمله على عذر في الهيام به ، من أجل ذلك يعمد في وصفه الجمال الى التفصيل دون الاجمال

فلن تستطيع أن تبث في نفس سامعك دعاية لهذا الجمال وأنت تجمل في وصفه حتى تأتي على جزئياته مفتنّاً في إثباتها على مرآة النفس الشاعرة عن طريق القلب

فليس لقول القائل :

أبصرت دون شعاب مكة مصبحاً   سيماً أجزنَ وكلهن جميل

من التأثير البالغ في نفس السامع ما لقول الآخر :

وتملكت قلبي ثلاثٌ كالدمى   زهر الوجوه نواعم الأبدان

للفرق بين الاجمال الأول ، وتفصيل الثاني

وقد يفتنّ الشاعر في وصف من أحب لمجرد البث والتغلب على اليأس بما يكون للنفس عزاء وسلوة

وقد يشعر بما يحب للشعر ، كما قد يحب فيما يشعر للحب

وليست ميزة الشاعر في النداء على جمال من يفتنّ في وصفها وإنما الميزة في اثبات ذلك الجمال في نفس السامع والذهاب بها في اللذة مذاهب تتركها وقفاً على جمال ما تسمع حتى كأنها تنظر إليه وتلمسه وتشمه فتشعر به شعور من وقفها عليه ، وليس في ذلك للاجمال يد طولى وهو يمر بالنفس لمحاً بينما الشعر يمعن في تمكينها منه عن طريق التفصيل

أفلا تبصر قوله :

بالذي ألهم تعذيـ   ـبي ثناياك العذابا
والذي ألبس خديـ   ـك من الحسن نقابا
والذي أودع في فيـ   ـك من الشهد رضابا
والذي صيّر حظي   منك هجراً واجتنابا
ما الذي قالته عينا   ك لقلبي فأجابا ؟

كيف يهز النفس بما فيه من روعة لم تكن لتتوفر في كلماته لو أجمل فقال :

بالذي أفرغ في قا   لبك الحسن العُجابا
ما الذي قالته عينا   ك لقلبي فأجابا ؟ ؟ ؟

فان في تعداد جزئيات الجمال في الأبيات الأولى ما يشغل النفس في تصورها ، فيثبت فيها جمال الوصف والواصف ثم الموصوف آخر الامر ، وهي في مجموعها مصداق البيت الأول من البيتين الآخرين وهما كما ترى

تحب في المرأة وأنت شاعر خلاف ما تحبه منها وأنت لا تشعر ، فالشاعر يحب المرأة لجمالها الذاتي ، وغيره يحبها لجمال

(١) هذه القطعة وما يليها من القطع المقوسة مقتبسة عن كتاب المآسي (للحوماني) صاحب المقال

مايحف بها ، فقد يتبدها النبيّ لمالها ، وقد يستغويه ما يمت بها الى نسب عريق ، وربما كان علمها سبباً فى أسر هواه ، أما الشاعر فلم يكن ليحب المرأة يغمرها المال ، ويزهوها النسب ، ويسمو بها العلم ، وهى بعيدة عن روحه الهائمة بالجمال . ومقياس هذا الشعور به شدةً وضعفاً تجده فى جمال من يحب كمالاً و نقصاً

فلن تستطيع أن تحكم على الشاعر بمثل ما يهيم به من جمال ، ولكنك ، وأنت تحكم عليه ، يجب أن تكون شاعراً لئلا يفوتك من أسرار الجمال ما تشعر به وأنت غافل عنه

فقد يقف فى طريق الشاعر الى حب المرأة أن يشم منها ما يكره ، وهى قطعة من جمال الحياة ، روحاً وجسداً لولا أنها أهملت جسدها أن تتعهده بالنظافة فكان ذلك حائلا دون خلوصه الى روحها إذ كان نقصاً بيناً فى جمال هذه الروح

وربما هام الشاعر بالمرأة ، وهى ناقصة الجمال ، لتضاؤل مايبدو من نقصها فى عينه إلى جنب ما امتازت به من جمال يأخذ العين والأذن بما فيه من سحر ، فهو إذ ذاك أعمى عن كل ما ينقصها لما تفتن فى تنمية هذه الناحية فيها وصرفه عن الشعور عما عداها

وكثيراً ما تستطيع المرأة أن تسبغ جمال روحها على ما يشين جسدها من قبيح فتتغلب على شعور الهائم بالجمال بما امتازت به من خصائص النفس ، فللشاعر إذ ذاك العذر فى قصر هواه على جمالها الناقص

وله هذا العذر أيضاً فى محيط خاء وليس فيه من ربات الجمال التام من يهيم بها فلجأ إلى الجمال الناقص يهيم به ويسبغ عليه فنه الخالد إذ كان هو الجمال التام عنده

وهكذا هو مع المرأة التى مُنيَ بها قبل أن يشعر وهى ناقصة الجمال ، فلما دق شعوره بالحياة نظر إليها نظرة شاعر فوقف منها على ماخفى عنه من قبل ، ورأى أن فى العدول عنها عذاب الضمير ثم التياث الغرض من وراء ذلك كله ، فحمل نفسه على القنوع بها وأغضى عما يعترضه من جمال خارج ، فكانت هى عروس خياله تجلو عليها آماله وينفحها من شعره بما تخلد به إلى جنبه

الحوماني

مستشرق اسبانى

فى طليعة علماء أسبانيا الحديثين يظهر اسم جوليان ريبيرا العالم البحاثة المؤرخ المتغلغل فى قلب تاريخ أسبانيا فى جميع أطواره ومراحله . وهو متضلع من اللغة العربية ومطلع كل الاطلاع على تاريخ آدابها وله فيها أبحاث جليلة . وليس ريبيرا من اللغويين الذين يقصرون هممهم على درس قواعد اللغة العربية شأن أكثر المستشرقين الأسبان باستثناء العالمين غايانكوس وكوديرا ، بل جاوزه إلى التاريخ والثقافة العربية فعنى بهما عناية البحاثة المدقق والعالم المحقق

اعتبر ريبيرا أن للتاريخ الاسلامى كما لتواريخ بقية الأمم وجهين . السياسى والأدبى . وقد اكتفى المستعربون الأسبان قبل ريبيرا بدرس الحوادث السياسية دون أن يهتمّوا بسواها . وان لهذا الاهمال عذره وأسبابه ، فالبحاثة التاريخى يبدأ بدرس الناحية السياسية لأن حوادثها أكثر وضوحاً وأسهل درساً وأقرب منالاً من درس تاريخ الثقافة وكيفية نشوئها وتطورها مما يقتضى البحث فى أخلاق الأمة وعاداتها وطرق معيشتها ونظمها الأدبية والاجتماعية والدينية لكى يتمكن من تفهّم ما نعبّر عنه بكلمة — تمدن — التى هى لباب التاريخ ، ولكى نتوصل إلى الالمام بكل هذا وجب علينا أن نبدأ بما هو أبسط وأجلى وهو الوجه السياسى أى الخارجى

إن درس التاريخ يخضع للقاعدة ذاتها التى يخضع لها درس الفلسفة ، إذ لا يمكن البحث فيما وراء الطبيعة إلا بعد فهم علم الطبيعة . وعلى مَن شاء درس تاريخ التمدن درساً وافياً أن يكون مراقباً بصيراً ومدققاً حصيفاً يتمكن من فهم الحوادث وتمحيصها وغربلتها ، لأن الحقيقة كثيراً ما تختفى وراء نقاب شفاف من الظواهر الخداعة . وينبغى له أن يكون ذا قدرة على جمع الحوادث ووصلها واستنطاقها والمقابلة بينها . وأخيراً أن يكون ذا ضمير حىّ فيما يرتئيه ويعلله

لم يقدم ريبيرا فى أواسط القرن الماضى على درس تاريخ التمدّن الاسلامى الشرقى عامةً والأندلسى خاصةً إلا بعد أن

اجتمعت فيه كل هذه الصفات الأساسية الضرورية ، فولج وحده هذا الباب الذى لم يطرقه عالم قبله . وبعزيمة صادقة توغل فى مجاهل هذا البحث واكتشف حقائق كانت مجهولة أودعها كتبه القيّمة التالية : « تاريخ التدريس فى الاسلام » . « تاريخ المكاتب والمدارس فى الأندلس » . « تاريخ مدارس الفقه فى الاسلام » . « تاريخ الفلسفة الاسلامية » . « تاريخ شيوع اللغة الأسبانية بين عرب الأندلس » . « تاريخ أصل الشعر الغنائى والشعر الحماسى » . « تاريخ الموسيقى العربيــــة وتأثيرها على الموسيقى الاسبانية »

وكفى بهذه المؤلفات شهادة على تفوق ريبيرا فى التاريخ الاسلامى ، وعلى جهوده التى تحله فى المقام الأول بين كل العلماء الذين عنوا بدراسته . ويمتاز ريبيرا على كثير من هؤلاء بأنه شق لنفسه طريقاً جديدة فى أبحاثه ، غير مقتف آثار من تقدموه من البحاثين الذين يتتبعون خطوات من تقدموهم ، ويحتذونهم فى كل شىء تقريباً . ولاغرو أن يتبوأ أحد المراكز الأولى بين العلماء الذين درسوا التاريخ والآداب الاسلامية . ومن أظهر ميزاته تحرى الحقائق المدعمة بالبراهين ، وإثباتها بعد أن يحللها تحليلاً عقلياً منطقياً . وحجتنا على هذا أبحاثه فى التعليم الاسلامى فى الشرق والأندلس ، فهى تطلعنا على أنه كان مقيداً وخاضعاً للسلطة فى الأقطار الشرقية الاسلامية ، على حين كان حراً طليقاً من كل رقابة فى الأندلس . وترينا أن أسلوب التعليم الاسلامى كان فى عهده قدوة ومثالاً للتعليم فى مدارس أوربا المسيحية التى أخذت عنه رتبها وألقابها وتنظيم صفوفها وطريقة امتحانها

وإذا كان قد درس بإسهاب كيفية تأسيس القضاء وتنظيمه فى مملكة أراغون ، فلكى يبرهن أن نظامها القضائى ككثير من الأنظمة القضائية نسخته اسبانيا المسيحية عن الاسلام ، كما أن شكل القضاء فى الاسلام هو نسخة طبق الأصل عن نظام القضاء الفارسى القديم . وما درس موشحات « ابن قزمان » التى هى منبع الأغانى العربية الاسبانية إلا لكى يفتش بين تقاطيعها وأوزانها وتراكيبها ومعانيها عن المثال الذى نسجت على منواله الأغانى الاسبانية العامية المعروفة « بالبروفينسيال » . وقد كان مؤرخو الآداب الاسبانية يعتبرون هذه الأغانى وليدة بيئتها حتى جاء ريبيرا وكشف عن حقيقة أصلها العربى الأندلسى ؛ وقد أوصلته أبحاثه الى الاكتشاف ذاته فيما يتعلق بالقصائد الفرنسية الحماسية ، إذ أن أقدمها عهداً هو أحدث من الملاحم الأندلسية ، فضلاً عن التشابه الموجود بين أبطالها ومواضيعها ، وأبطال ومواضيع الشعر الحماسى الأندلسى الذى نبشه ريبيرا من بطون النسيان ؟

(العصبة) أديب سعاده

١٤ - قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

صلة حديثه

وصل الفائت : أثبت بستور أن تخمر عصير العنب وفساد اللبن واللحم مرجعها كلها الى وجود أحياء صغيرة يحملها تراب الهواء ، وانه كلما قل تراب الهواء قلت الأحياء التى فيه حتى تكاد تنعدم . واليوم نقص كيف طبق علمه على حالتين ونجى به صناعتين كان مآلها الخراب : صناعة الخمر وصناعة الخل ، فأثبت للناس كيف يلبي العلم دعاءهم فى شدة المحنة وظلمة اليأس

وبدأ مرة أخرى يُرى فرنسا كلها كيف يستطيع العلم أن يوفّر المال لصناعاتها . فحزم صناديق ملأى بالأوانى والأجهزة الزجاجية ، وحزم معها مساعداً نشيطاً من مساعديه اسمه « ديكلو » Duclau ، وسافر مسرعاً إلى بلده القديم « أربوا » ليدرس أمراض الخمور وما نزل بهذه الصناعة من الدمار . واتخذ معمله فى مكان مقهى عتيق . واكتفى عن مصابيح الغاز بموقد من الفحم النباتى قام « ديكلو » عليه يؤجج جمراته بمنفاخ فى يديه شغله طويلاً فى غير ملل أو كلال . وكانا كلما أرادا الماء ذهب « ديكلو » إلى مضخة القرية يستقى منها . أما ما احتاجوه من الأجهزة فصنعه لهم نجار القرية وسمكارتها فى غير أناقة كبيرة ، وذهب بستور إلى معارفه الأقدمين يسألهم بضع زجاجات من الخمر ، من الخمر المرّة والخمر الهلامية ، والخمر الزيتية ، واختصاراً من كل خمر فاسدة مريضة . كان بستور قد أيقن من أبحاثه السابقة أن الخمائر هى التى تصنع من عصير العنب خمراً ، فلما جاء اليومَ يبحث أدواءها وقع فى نفسه أن هذه الأدواء لا بد ترجع إلى أحياء مكرسكوبية أخرى

وما أسرع ما تحققت نبوءته ! فما كاد يصوّب عدسته إلى الخمر الهلامية حتى وجدها تعجّ بمكروبات جديدة غريبة غاية فى الصغر يتصل بعضها ببعض كالعقد النظيم . ونظر إلى الخمر المرّة فوجدها مليئة بنوع جديد من الأحياء . ونظر فى الخمر الفاسدة الأخرى فوجد بها أحياء أخرى . ثم جمع زرّاع العنب وصنّاع الخمر وتجار الأقليم ، واعتزم أن يفتنهم بسحره

صاح فيهم : « هاتوا لى ست زجاجات من خمر أصابتها ستة أمراض مختلفة ، ولا تخبرونى بنوع مرضها ، وأنا أدلكم عليه بالنظر اليها » . فلم يصدقه منهم أحد ، وتغامزوا وتلامزوا عليه وهم فى طريقهم إلى إحضار خمورهم المريضة ، وضحكوا من أجهزته الغريبة فى ذلك المقهى القديم ، وتفاكهوا بحاله تفاكههم بمخبول جادّ غير هازل . وجاءوه بين الخمور المريضة بخمر صحيحة ليخدعوه ويُضلوه . فقام فيهم يملأ قلوبهم عجباً وإعجاباً . فأخذ أنبوبة دقيقة من الزجاج وأدخلها فى إحدى قوارير الخمور ورفعها بقطرات منها ووضعها بين قطعتين منبسطتين من الزجاج وانحنى فوق مكرسكوبه ينظر فيها بينما الرجال حوله يتناقلون البسمات ويتبادلون الغمزات . ومضى زمن وصاحبنا فى تحديقه ، وأصحابنا يزدادون بمر الدقائق جلبة ونكاتاً . . .

وبغتةً رفع بستور رأسه وقال : « ليس بهذه الخمر مرض . أعطوها للذوّاق وانظروا هل يؤمّن على قولى . »

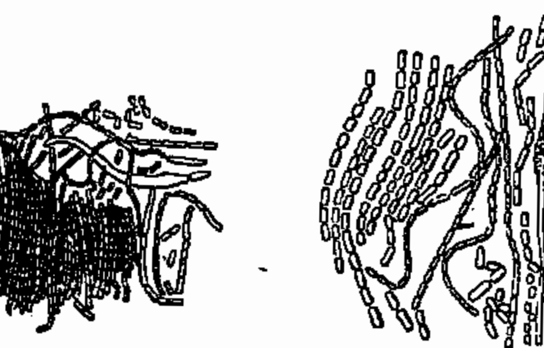
وذاقها الذوّاق ، ثم رفع أنفه الأحمر فتجمّد ، واعترف أن بستور صدق فيما ذهب إليه . وجرى بستور على صف الزجاجات واحدة واحدة . وكان كلما رفع رأسه عن المجهر وصاح « هذه خمر مرة » أمن على قوله الذوّاق . وكلما قال هذه « الخمر هلامية » أكّد ما وجده الذوّاق

وانصرف الجماعة من عنده مكشوفى الرؤوس تلهج ألسنتهم بالثناء وتتعثر بالشكر . « لا ندرى ما يصنع بهذه الخمور ليتعرفها . ولكنه رجل ماهر غاية فى المهارة » . هكذا قال بعضهم لبعض ، وهو اعتراف لعمر ربى من الفلاح الفرنسى ليس بالهين اليسير . .

وبعد انصرافهم أخذ بستور ومساعده ديكلو يعملان فى هذا المعمل الخرب ، وقد شد النصر عزائمهما وقوّى النجاح قلبيهما . وأخذا يدرسان كيف يمنعان هذه المكروبات الغريبة من الدخول إلى الخمور السليمة ، وخرجا على أنهما إذا سخنا الخمر ، ولو سخيناً هيّناً دون درجة غليانها بكثير ، فان هذا التسخين يقتل تلك المكروبات الدخيلة فلا تفسد الخمر بعد ذلك .

وهذه الحيلة اليسيرة التى جاءا بها هى التى تعرف اليوم « بالبستره » Pasteurisation نسبةً إلى اسم صاحبها بستور ، وعلى مقتضاها تعالج الألبان اليوم فتتعقم فتنجو من التخثر طويلاً

وما كاد يطمئن الفرنسيون فى شرق فرنسا على خمرهم ، ويتعلّمون كيف يمنعون الفساد عنها ، حتى علا الصراخ فى المقاطعات الوسطى يهتفون ببستور ليأتيهم فينجى صناعة الخل لديهم من البوار . فأجاب بستور دعاءهم وسافر مسرعاً إلى مدينة Tours . وكان فى هـذا الوقت قد ألف البحث عن المكروب والعثور عليه حيثما كان ، فلم ينفق فى التحديق وراءه ذلك الجهد الكبير والزمن الطويل اللذين أنفقهما أولاً . ولما اقترب من البراميل التى فيها تستحيل الخمر خلا ، رأى على سطح سائلها زَبَداً غريب المنظر . فصاح به الخلالون : « هذا الزَّبد لابدمنه لتخليل الخمر » . وقضى بستور بضعة أسابيع فى البحث فوجد أن الزَّبد إن هو إلا ملايين بعضها فوق بعض من خلائق مكرسكوبية . فأخذها ، فامتحنها ، فوزنها ، فصنع بها مالا ُيصنع . وأخيراً جاء إلى جمع من الخلالين وزوجاتهم وأولادهم وأقاربهم فأخبرهم أن الذى يحيل خمرهم إلى خل إنما هى مكروبات صغيرة ، وأنبأهم أن هـــذه المكروبات تحيل من كحول الخمر إلى حامض الخل مقادير تبلغ عشرات الألوف من أوزانها . « فانظروا واعجبوا من ضخامة العمل الذى تقوم به هذه الأحياء الضئيلة . ماذا تقولون لو أن رجلاً زنته مائتا رطل قام يقطع خشباً فقطع مليونى رطل فى أربعة أيام ! » . وبهذه المقارنة القريبة ، وبهذه التشبيهات الساذجة ، أدخل بستور هـذه المكروبات الصغيرة فى حياة هؤلاء السذّج فأكبروها واحترموها . وبستور نفسه ظل يفكر طويلاً فى جسامة ما تقوم به من الأعمال حتى أَلِف الفكرة واعتادها .



نوعان من المكروبات التى تحيل الكحول الذى بالخمر إلى حامض الخل أو الخل نفسه



شكل المخازن التى كان يصنع بها الخل فى فرنسا فى عصر بستور

وخطر له أن المكروب على ضآلته قد يدخل جسم الثور المظيم أو جسم الفيل أو جسم الرجل فيميته ، فلم يجد فى هـذا الخاطر استحالة أو غرابة . وقبل أن يرحل عن بلدة « تور » علّم أهلها كيف يربون هذا المكروب النافع ويعنون به حتى يحسن استلاب الجو أكسجينه لأكسدة الكحول فى خمرهم فيملأ بذلك جيوبهم بالملايين من الفرنكات

وبهذا النجاح وأمثاله زاد بستور ثقة بالتجربة أداةً لكشف الغامض من الأمور . وأخذ يحلم الأحلام الطويلة العريضة المستحيلة عن فتوحات المستقبل التى سيأتيها فى تقفى آثار هذه الخلائق الضئيلة ولم يحبس هذه الأحلام على نفسه ، بل وصفها فى خطبه ونادى وبشر بها كما بشر الرسول يوحنا المعمدان بالنصرانية ، سوى أن صاحبنا كان أكثر حظا من يوحنا الرسول ، لأنه قدر له أن يعيش حتى يتحقق ولو قليلاً من نبوءاته

وتلت ذلك فترة قصيرة قضاها بستور فى معمله بباريس يشتغل هادئاً ساكناً . فلم يبق له من الصناعات ما ينجيه . وظل فى هدوئه حتى يوم من أيام عام ١٨٦٥ ، فى هذا اليوم جاء القَدَر يدق بابه . وما كان الطارق إلا أستاذه القديم دوماس ، جاءه يتطبّب لدود القزّ المريض . فقال بستور دَهِشاً : « وما الذى دهى دود القزّ ، فما كنت أعلم أن المرض يعتريه ؟ على أنى لا أعرف عن هذا الدود شيئاً ، وإن شئتَ المزيدَ فنى الحق أنى لم أر دودة قزّ واحدة فى حياتى »

(يتبع) أحمد زكى

أبو سليمان الخطّابي

٣١٩ — ٣٨٨ ه

بقلم برهان الدين محمد الداغستاني

تتمـــة

تابع مؤلفاته

٣ — « أعلام السنن » فى شرح البخارى[١] ، وهو شرح لطيف فيه نكت لطيفة وفوائد شريفة

٤ — « كتاب الاعتصام بالعزلة »[٢] كتبه بطلب من أحد تلاميذه حقق فيه معنى العزلة وما المراد منها ، ثم عرض لأدلة من أنكر العزلة ومن قال بها ووازن بينها ، فكانت الغلبة فى جانب أنصار العزلة

٥ — « كتاب شأن الدعاء » ذكر فيه بعض الأدعية المأثورة وشرح معانيها

٦ — « إصلاح غلط المحدثين » أورد فيه قرابة مائة وثلاثين حديثاً يرويها أكثر المحدثين ملحونة أو محرفة أصلحها وبين الصواب فيها[٣]

٧ — « شعار الدين فى أصول الدين » التزم فيه إيراد أوضح ما يعرفه من الأدلة من غير أن يلتزم طريقة المتكلمين

٨ — « كتاب الشجاج »

٩ — « كتاب شرح أسماء الله الحسنى »

١٠ — « كتاب الغنية عن الكلام وأهله »

١١ — « كتاب العروس »

١٢ — « الرسالة الناصحة » فيما يعتقد فى الصفات ، وهذه الستة الأخيرة لم أرها ولم أعلم مكان وجودها

هذه هى كتب أبى سليمان التى ذكرها الذين ترجموا له . وجاء فى طبقات الشافعية الكبرى للسبكى (ج ٢ ص ٢٢٢) ما يأتى :

قال الخطابى فى كتابه تفسير اللغة التى فى مختصر المزنى فى باب الشفعة : بلغنى عن ابراهيم بن السرى الزجاج النحوى أنه كان يذهب إلى أن الصاد تبدل سيناً مع الحروف كلها لقرب مخرجهما ، فحضر يوماً عند على بن عيسى فتذاكرا هذه المسألة واختلفا فيها وثبت الزجاج على مقالته ، فلم يأت على ذلك إلا قليل من المدة ، فاحتاج الزجاج إلى كتاب إلى بعض العمال فى العناية فجاء إلى على ابن عيسى الوزير يتنجز الكتاب ، فلما كتب على بن عيسى صدر الكتاب وانتهى إلى ذكره كتب : وابراهيم بن السرى من أخس اخوانى ، فقال الرجل أيها الوزير : الله الله فى أمرى ! فقال له على بن عيسى إنما أردت أخص ، وهذه لغتك فأنت أبصر ، فان رجعت وإلا أنفذت الكتاب بما فيه . فقال قد رجعت أيها الوزير فأصلح الحرف واطو الكتاب اهـ

فهذا الذى نقلناه عن طبقات السبكى يفيد أن للخطابى كتاباً شرح فيه غريب اللغة التى فى مختصر المزنى ولكنى لم أر أحداً ذكر هذا الكتاب من كتب الخطابى ، ولم يذكر صاحب كشف الظنون هذا الشرح لمختصر المزنى مع أنه عدد الكثير من شروحه لكثير من المتقدمين والمتأخرين

شعره :

يعد الخطابى أديباً ذا حظ وافر فى الصناعتين النثر والنظم ؛ فاما نثره ففى إمكان القارئ الكريم الاطلاع عليه فى كتبه التى كتبها فى العلوم ، ومنها ما هو مطبوع ، لذلك لا أرى حاجة إلى ذكر شيء منه ، وأما شعره فمع أنه شعر جيد سلس عذب الألفاظ فهو مفرق هنا وهناك بين بعض كتبه وكتب بعض الذين ترجموا له ، وانى لذلك ذاكر منه كل ما عثرت عليه

قال أبو سعيد الخليل بن محمد الخطيب : كنت مع أبى سليمان الخطابى فرأى طائراً على شجرة فوقف ساعة يستمع ثم أنشأ يقول :

ياليتنى كنت ذاك الطائر الفردا ... من البرية منحازاً ومنفردا
فى غصن بان دهته الريح تخفضه ... طوراً وترفعه أفنانه صعدا
خلو الهموم سوى حب تلمسه ... فى الترب أو نغبة يروى بها كبدا[١]
ما إن يؤرقه فكر لرزق غد ... ولا عليه حساب فى المعاد غدا
طوباك من طائر طوباك ويحك طب ... من كان مثلك فى الدنيا فقد سعدا

(١) منه نسخة فى جامع اويس فى الموصل وأخرى فى مكتبة رواق الشوام فى الأزهر ويوجد النصف الثانى منه فى مكتبة المرحوم الشيخ محمد سلطان فى حلب مكتوبة سنة (٤٨٧)

(٢) منه نسخة فى دار الكتب العربية بدمشق ضمن مجموعة برقم (٢٠٨) ومعه كتاب شأن الدعاء له أيضاً

(٣) منه فى دار الكتب المصرية نسخة قيمة بخط محمد محمود التركزى تحت رقم (١٠١٠) حديث

(١) النغبة بضم النون وقد تفتح الجرعة

وله فى معاملة الناس بالحسنى وحب الخير لهم :

ارض للناس جميعاً مثل ما ترضى لنفسك
إنما النـــاس جميعاً كلهم أبناء جنسك
فلهم نفس كنفســك ولهم حس كحسك

وله فى الرد على من لامه على اعتزاله الناس وطول احتجابه :

وقائل ورأى من حجبتى عجباً كم ذا التوارى وأنت الدهر محجوب
فقلت حلت نجوم العمر منذ بدا نجم المشيب ودين الله مطلوب
فلذت من وجل بالاستتار عن الأ بصار إن غريم الموت مرعوب

وله فى مداراة الناس ومصانعتهم :

مادمتُ حياً فدار الناس كلهم فانما أنت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى عما قليـــل نديماً للنــــدامات

وله يشكو ايذاء الناس بعضهم بعضاً فوق أذى الوحوش الضارية :

شر السباع الضوارى دونه وزر والناس شرهم مادونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع وما نرى بشراً لم يؤذه بشر

وله يشكو من وسطه الذى لا يجد فيه من يفهمه وتسكن اليه نفسه :

وماغربة الانسان فى شقة النوى ولكنها والله فى عدم الشكل (١)
وإنى غريب بين بُست وأهلها وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى

وله فى تهوين أمر الدنيا وعدم الاهتمام بها :

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا عليها غير ريح مســـتعاره
وما للريح دائمة هبــــوب ولكن تارة تجرى وتاره

وله فى الحث على انتهاز الفرص قبل فواتها :

تغنم سكون الحادثات فانها وإن سكنت عما قريب تحرك
وبادر بأيام الســـلامة إنها رهون وهل للرهن عندك مترك

وله فى التحذير من الجهال وعدم الركون اليهم :

تحرز من الجهال جهدك إنهم وإن لبسوا ثوب المودة أعداء
وإن كان فيهم من يسرك قربه فكل لذيذ الطعم أوجُله داء

وله فى العفو والقصد وذم المغالاة :

تسامح ولا تستوف حقك كله وأبق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل فى شىء من الأمر واقتصد كلا طرفىْ قصد الأمور ذميم

وأورد جعفر بن شمس الخلافة فى كتاب الأدب للخطابى هذين البيتين :

وإنى لأعرف كيف الحقوق وكيف نبر الصديق الصديق
ورحب فؤاد الفتى محنـــة عليه إذا كان فى الحال ضيق

وله يذكر حسن أثر العزلة فى نفسه :

إذا خلوت صفا ذهنى وعارضنى خواطر كطراز البرق فى الظلم
وإن توالى صياح الناعقين على أذنى عرتنى منه حكلة العجم (١)

وله يصف ميله إلى البعد عن الناس وقلة مخالطتهم :

قد أولع الناس بالتلاق والمرء صب إلى هواه
وإنما منهم صـــديق من لا يرانى ولا أراه

وله فى عزة النفس والتعفف مع الحاجة الملحة :

دعنى فلن أخلق ديباجتى ولست أبدى للورى حاجتى
منزلتى يحفظها منزلى ديباجتى تكرم ديباجتى

وله :

قد جاء طوفان البلاد ولا أرى فى الأرض ويحى للنجاة سفينه
فاصعد إلى وزر السماء فان يكن يمييك فابك لنفسك المسكينه

وله :

سلكت عقاباً فى طريق كأنها صياصى ديوك أو أكف عقاب (٢)
وما ذاك إلا أن ذنباً أحاط بى فكان عقابى فى سلوك عقاب

وله :

قل للذى ظل يلحانى ويعذلنى لنائل فاته والخير مأمول
لا تطلب السمن إلا عند ذى سمن نال الولاية فالمعزول مهزول

بعض الآراء المنقولة عنه

كان الخطابى شديد الانكار على الفقهاء الذين يغفلون الحديث أو يتساهلون فيه ويقصرون همهم على آراء أئمتهم من الفقهاء كما كان ينكر على المحدثين اغفالهم الفقه واشتغالهم بالغريب وجمع الروايات (٣) لذلك لم يكن غريباً من الخطابى أن يخالف من

(١) فى اليتيمة ثمة بدل غربة وأخذ هذا المعنى عمر بن أبى عمر السجزى من الخطابى فقال :

وليس اغترابى فى سجستان أننى عدمت بها الاخوان والدار والأهلا
ولكننى مالى بها من مشاكل وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

ووهم ياقوت فعد هذين البيتين فى شعر الخطابى.

(١) العجمة وزناً ومعنى
(٢) انظر مقدمة معالم السنة ص ٣ ، ٤ طبع حلب
(٣) انظر طبقات الشافعية للسبكى ج ٢ ص ٢١٩

تقدموه إذا رأى الدليل يسعفه ؛ فمن ذلك قوله برد شهادة أحد الزوجين للآخر لما في ذلك من التهمة قياساً على رد شهادة القانع لأهل البيت الوارد في الحديث ، والقانع من يخدم القوم ويكون في حوائجهم . وكان يرى تحريم البول في الطريق لحديث فيه ولما فيه من إيذاء المسلمين . وكان يرى كراهة خاتم الفضة للمرأة لأنه من شعار الرجال كما أن الذهب من شعار النساء ، وكان يرى أن أكل الثوم والبصل لا يعد عذراً في ترك الجمعة لما لها من الأهمية والخطر . وكان يعيب على المتكلمين قولهم في صفات الله الذاتية : إنها قديمة ، ويختار أن يقال فيها أزلية ، لأن معنى الأزلي هو ما لم يزل كائناً ، ومعنى القديم هو ماله صفة القدم ، ولا يجوز أن يكون للصفة صفة

هذه كلمة أردت بها الكشف عن فضل هذا العالم الذي نسي الناس حتى اسمه فلا يعرفونه على حقيقته ، وأرجو أن أكون قد وفقت ولو إلى بعض ما أردت

برهان الدين محمد الداغستاني

٢٣ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

ما أبعد ما رجوت من أمل ، وما أسوأ ما عدت به من فشل ! فما مضيت حتى ألفيت فيلسوفي قد نبذ العقل نبذاً كما نبذ كل ما سواه من أسس الاتساق ، وانتكس إلى الهواء والأثير والماء وما إليها من شوارد الآراء ، فكان عندي أشبه برجل أصرّ بادئ ذي بدء أن العقل هو علة أفعال سقراط بصفة عامة ، فلما أراد أن يبيّن بالتفصيل أسباب أفعالي العديدة ، أخذ يبرهن أنني أجلس هاهنا لأن جسمي مصنوع من عظام وعضلات ، وأن العظام ، كما كان يُنتظر أن يقول ، صلبة تفصل بينها أربطة ، وأن العضلات مرنة وهي تغطي العظام التي يحتويها كذلك غشاء ، أو محيط من اللحم والجلد . ولما كانت العظام مشدودة إلى مفاصلها لقبض العضلات وبسطها ، كان في استطاعتي أن أثني أطراف بدني ، وهذا علة جلوسي هاهنا في وضع منحنٍ . إنه كان سيزعم هذا ، وكان سيشرح بمثل هذا كلامي إليكم ، فقد كان سيفرده إلى الصوت والهواء والسمع ، وكان سيذكر من هذا النوع من الأسباب عشرة آلاف سوى ما ذكر ، ناسياً أن يشير إلى السبب الحقيقي وهو أن الأثينيين قد رأوا في إدانتي صواباً ، فرأيت أنا بناء على ذلك أن الأفضل والأصوب هو مقامي هاهنا محتملاً ما حكم علي به ، فأرجح الظن عندي أن عظامي وعضلاتي هذه كانت تود لو فرت إلى ميغارا أو بوتيا Beotia — وإني لأقسم بكلب مصر أنها كانت تود ذلك ، إذا لم يكن يسيرها الا فكرتها هي عن الأمثل ، وإذا لم أكن أنا قد آثرت أن أحتمل كل عقوبة تقضي بها الدولة ، على اعتبار أن ذلك أفضل وأشرف مسلكا ، بدل أن أمثل دور الآبق فألوذ بالفرار . لا شك أن في هذا كله خلطاً عجيباً بين الأسباب والحالات . وقد يمكن القول حقاً أنني لا أستطيع تحقيق غاياتي بغير العظام والعضلات وسائر أجزاء الجسد ، أما القول بأنني أفعل ما أفعل من أجلها ، وأن فعل العقل إنما يكون على هذا النحو ولا يكون باختيار الأمثل ، فذلك ضرب من القول العابث العقيم ؛ وإني لأستغرب ألا يستطيع الناس أن يفرقوا بين السبب والحالة ، وهو ما يخطئ الدهماء فيه وفي تسميته دائماً ، لأنهم يتخبطون في الظلام ؛ وهكذا ترى واحداً من الناس يصطنع دوامةً من الماء تشمل الكون فيثبّت الأرض بالسماء ، وترى آخر يذهب إلى أن الهواء عماد الأرض وأن الأرض في شكل الحوض الفسيح [1] ، ولا تسيغ عقولهم قط وجود أية قوة تسير بهم إذ تصرفهم نحو الأحسن وهم لا يتخيلون أن في ذلك قوة فوق القوة البشرية ، إنما هم يتوقعون أن يجدوا للعالم عماداً آخر أقوى من الخير وأكثر منه دواماً وشمولاً ، وهم بغير شك يرون أن قوة الخير القسرية الشاملة هي كل شيء ، ولكني مع ذلك أتمنى أن يكون هذا هو المبدأ الذي أتعلمه إن وجد من يعلمنيه ، ولما كنت قد فشلت أن أستكشف بنفسي أو بإرشاد غيري

(١) يتهكم سقراط بهذ القول على أصحاب المذاهب الفلسفية الأولى الذين كانوا يعللون الكون بالماء تارة وبالهواء طوراً ، دون أن ينفذوا بعقولهم الى ماوراء المادة من قوة مدبرة

من الناس طبيعة الأمثل ، فأعرض عليكم إذا شئتم طريقة البحث فى العلة التى وجدتها تتلو الأمثل فى المثالية (١)

أجاب : أشد ما أحب أن أمضى إلى ذلك

فمضى سقراط : ظننت أنى مادمت قد فشلت فى تأمل الوجود الحقيقى فينبغى أن أحرص على عين روحى فلا أفقدها كما قد يؤذى الناس عيونهم الجثمانية بشهود الشمس والنظر اليها أثناء الكسوف ، مالم يتحوطوا فلا ينظرون إلا إلى الصورة المنعكسة على الماء أو ما يشبه الماء من وسيط ؛ حدث لى ذلك نخفت أن تصاب روحى بالعمى الشامل إذا أنا نظرت إلى الأشياء بعينىّ أو حاولت أن أتفهمها بوساطة الحواس ، وفكرت أنه يحسن بى أن أعود إلى المُثُل فأبحث فيها عن حقيقة الوجود ، وإنى لأعترف بنقص هذا التشبيه (٢) - لأننى بعيد جداً عن التسليم بأن من يتأمل صور الوجود بوساطة المثل يراها « معتمة خلال منظار » دون من ينظر اليها وهى فى نشاطها وبين نتائجها ، ومهما يكن من أمر فهذه سبيلى التى سلكتها : فرضت بادىء الأمر مبدأ زعمت أنه أمتن المبادىء ، ثم أخذت أثبت صحة كل شىء يبدو متفقاً مع ذلك المبدأ ، سواء أكان ينتمى إلى السبب أو إلى أى شىء آخر ، واعتبرت كل ما يتنافر وإياه غير صحيح ، ولكنى أحب أن أوضح بالشرح ما أعنى ، فما أحسبكم تفهمون ما أريد

فأجاب سيبيس : كلا ، حقاً إنا لم نفهم جيداً

قال : ليس فيما أوشك أن أنبئكم به من جديد ، فهو ماظللت أكرره أينما حللت ، فيما سبق من نقاش ، وفى ظروف غيره سلفت ، فثمت علة قد ملكت على خواطرى ، أريد أن أبسط لكم طبيعتها ، ولامندوحة لى عن العودة الى تلك الألفاظ المألوفة التى يلوكها كل انسان ، فأزعم قبل كل شىء أن ثم جمالا مطلقاً وخيراً مطلقاً وكبراً مطلقاً وما الى ذلك . سلم معى بهذا ولعلى أستطيع أن أدلك على طبيعة العلة ، وأن أقيم لك الدليل على خلود الروح

فقال سيبيس : تستطيع أن تمضى من فورك فى برهانك ، فلست أتردد فى أن أسلم لك بهذا

فقال : حسناً ، إذن فأحب أن أعلم هل تتفق معى فى الخطوة التالية ، وتلك أنه لو كان هنالك شىء جميل غير الجمال المطلق لما شككت فى استحالة أن يكون ذلك الشىء جميلا إلا بمقدار مساهمته فى الجمال المطلق - وانى أقرر هذا عن كل شىء . أأنت موافقى على هذا الرأى فى العلة ؟

فقال : نعم أوافقك

فمضى قائلا : لست أعلم شيئاً ولا أستطيع أن أفهم شيئاً عن أى سبب آخر من تلك الأسباب الحكيمة التى يزعمونها ، فان قال لى أحد إن جمالا ينبعث عن ازدهار اللون أو الشكل أو ما شئت من شىء من هذا القبيل ، لطرحت قوله جملة ، فليس لى منه إلا ربكى ، ولتشبثت بفكرة واحدة دون غيرها تشبثاً قد يكون على شىء من الحمق ، ولكنى من صوابها على يقين ، وهى أنه لا يجعل الشىء جميلا إلا وجود الجمال والمساهمة فيه ، مهما تكن سبيل الوصول إلى ذلك ، وكيفية الحصول عليه ، فلست أقطع برأى فى الكيفية ، ولكنى أقرر بقوة أن الأشياء الجميلة كلها إنما تكون جميلة بالجمال ، وعندى أن ذلك وحده هو الجواب المعصوم الذى أستطيع أن أدلى به لنفسى أو لأى أحد آخر ، وانى لأتشبث به ، ويقينى أن لن تصيبنى الهزيمة قط ، وأنه فى مكنتى أن أجيب ، فى عصمة من الزلل ، على نفسى أو على أى أحد من الناس ، بأن الأشياء الجميلة لا تكون جميلة إلا بالجمال . ألست توافق على ذلك ؟

- نعم أوافق

- وبالكبر وحده تصير الأشياء الكبيرة كبيرة فأكبر وأكبر ، وبالصغر يصير الصغير صغيراً ؟

- حقاً

(يتبع) زكى نجيب محمود

(١) أصدق تعليل للكون عند سقراط هو معرفة الشكل المثالى أو الكمال الذى تنشده ظواهر الكون ، فبه نستطيع أن نعلل كل شىء ، وكان يتمنى أن يجد بين الناس من يعلمه طبيعة ذلك الكمال ولكنه لم يوفق ، لذلك يريد أن يعرض على سامعيه علة تجىء فى المرتبة بعد الكمال مباشرة

(٢) يقول إنه إذا أراد أن يبحث فى علة الكون فلن يتوجه بفكره وحواسه نحو ظواهر الكون نفسها ، خشاة أن يبهره وهجها فتصاب العين المبصرة من نفسه بالعمى ، كما يحدث للعين الجثمانية فيمن ينظر الى الشمس نفسها دون أن يلتمس صورتها على صفحة الماء ، ولكنه سيبحث فى عالم المثل بفكره ، والمثل فى الواقع صورة من الكون ، أو الكون صورة منها على الأصح

سل الجديدين

للأستاذ فخرى أبو السعود

هذى الحياة التى راقت مجاليها ... يُحصَى حصاها ولا تُحصى مآسيها

ما كنت تلهو بما أبدتْ ظواهرُها ... لو كنت تنظر ما تُخفى خوافيها

تَظَلُّ تَعرِضُ ألواناً مَفاتنها ... وللشرورِ مجالٌ فى نواحيها

تجاوَرَ الحُسْنُ فيهـا والأسى ومَشَت ... ما بين أفراحها الكُبرى مناعيها

يَشقَى ويَفنَى بَنُوها وهْىَ لاهيةٌ ... بِدَلّها وَحُلاها عن ذَراريها

تروقك الغابةُ الفيحاء ناضرةً ... يَرِفُّ بالحُسنِ عاليها ودانيها

ويانعُ الزهرِ فى أفنانها عَبِقٌ ... وَرَيِّقُ الماء يجرى فى مساريها

وتَستبيكَ بُرُودٌ من نسائمها ... هَيْنٌ وظلٌّ ظليلٌ من حواشيها

وبين أطوائها حربٌ مخلّدة ... تعجّ ما بين ماضيها وآتيها

فى عشبها أو ثراها أو لفائفها ... يُكِنُّ رائحُها شرًّا لغاديها

وما اغتذى حيُّها إلا بهالكها ... ولا سما نَضْرُها إلاّ بذاويها

تَغلغَلَ الظُّلْمُ فى أحنائها وَعَدَا ... على الضعيف من الأحياء عاديها

فى كل طَرفة عينٍ ثَمَّ مَهلَكةٌ ... أو ثَمَّ معركةٌ يا وَيحَ صاليها

تَشقَى وتَألَمُ آلافٌ مؤلَّفة ... فى كل آنٍ وتَردَى فى دياجيها

وتَعشَق البحرَ فى رحبٍ وفى عِظَمٍ ... والبحرُ مطّرِد الأمواج طاميها

تُلاعِبُ الريحِ أحياناً غواربَه ... وساكبُ النور أحياناً يناغيها

يصفو الأصيل عليها والضحى ولها ... تَرَدُّدٌ وخريرٌ فى شواطيها

وتحت أثباجها حربٌ مُؤرَّثَة ... موصولةٌ ليس يخبو الدهرَ واريها

وكم مآسىَ فى قيعانها دَرَجَت ... وكم فجائعَ غابت فى غواشيها

سل الجديدين كم كرّا على مُهَجٍ ... مَرُوعَةٍ عَزَّ فى اللأواء آسيها

قد عزّ فى قبضة الأقدار ناصرُها ... وعزّ مِنْ بَعْدُ راثيها وباكيها

لو أطلقَ المرءُ للعين العنانَ على ... تلك المآسى لما جفّتْ مآقيها

ولو رَثَى لضحاياها العِدادِ لما ... خلا له الشعرُ إلا فى مراثيها

ولو تدبَّرَتِ النفسُ الحياةَ لما ... صحتْ من الهم، لكنّا نُماريها

نُشيحها عن مآسيها ونَصْرِفها ... لما تُحِبُّ وتَرضَى من ملاهيها

فخرى أبو السعود

نداءُ الحُبّ

وقلبى أنشودة حلوة
تغنى بها قافلات الهوى

لشاعر الشباب السورى أنور العطار



تعالَ أيا حُبُّ نولِ الوُجودَ ... أناشيدَ مِلكُها مَنْ روَى

تعال نَعُمَّ السُّهولَ الفِساحَ ... وَنُصْبِ الهِضابَ وَنَغْرِ الرُّبا

تعال نَهِمْ هَيَمانَ الطُّيور ... وَنَهْتَزَّ مثلَ شُعاعِ الضُّحَى

تعال نُطَوِّفْ رِحابَ الفَضاء ... وَنَسْرِ إلى غامضِ المُنْتَأَى

***

تعال نَغُصْ فى عُبابِ السَّماء ... وَنَفْنِ الزمانَ وَنَطْوِ الدُّنا

ولا نَدَّخِرْ فَرْحَةً لِلْجِنَان ... ولا نُبْقِ للرُّوحِ من مشتهَى

وَنحْيَ مِنَ الحُبِّ فى عالَمٍ ... نَضيرِ الأزاهيرِ حُلْوِ الجَنَى

تُؤَلِّفُنا الطَّيْرُ أُغْرُودَةً ... وَتَمْزُجُنا بِنُفاحِ الشَّذا

نعيشُ نَجِيَّيْنِ فى سَكْرَةٍ ... كما عاشَ فى الزَّهْرِ خَمْرُ النَّدى

فما العُمْرُ إلا سَناً راجفٌ ... تَلأْلأَ بارِقُهُ وامَّحَى

فَأَيّامُهُ ضُيَّعٌ كالسَّرابِ ... وَأَحْلامُهُ ذاهِباتٌ سُدَى

نَطيرُ إلى رَبَواتِ النعيمِ   ونسلكُ أنفاسَ ريحِ الصَّبا
لنا في النسائمِ أرجوحةٌ   تطوفُ بنا في فجاجِ السما
تُهدهِدُنا بالنشيدِ الحبيبِ   وتغمرُنا بالسنا المُزْجَى
تنامُ وفي الأذنِ أغنيّةٌ   وفي العينِ حُلمٌ رقيقٌ سَرَى
وأرواحُنا انطلقتْ في الملاءِ   تغلغلُ في سِدْرةِ المنتهى
فيا لكِ غيبوبةً لذّةً   تراءى الخفاءُ بها وانجلى
ويا لكِ أمنيّةً تُستطابُ   ولحنًا على الدهرِ لا يُجتوى
ويا لكِ دُنيا قلَتْها الهمومُ   وماتَ الرِّياءُ بها وانطوى
فلا الشرُّ يأوي إلى ساحِها   ولا البُغضُ يَسكُنها والقِلَى
تنقّتْ من العابِ أعطافُها   ورَفَّ النعيمُ بها وازدهى
يسودُ رحاها هوًى خالدٌ   وحبٌّ تسامى وعيشٌ صفا
ويهفو إليها الشعاعُ الرقيقُ   ويألفُها الأملُ المبتغى
وتنفثُ فيها الثغورُ الحِسانُ   أحاديثَ يلتذُّها مَنْ وعَى
فما يَبهجُ الرُّوحَ بادٍ هناكَ   لِمَنْ يَشتهيهِ وخافٍ هنا

* * *

تعالَ لقد بُحَّ صوتي الشجيُّ   وعاجلني مِن صُراخي الوَنَى
تعالَ فإنيَ مُستوحِشٌ   يُريني طولُ الضَّنَى ما اختفى
أُحِسُّ يدًا مُلِئتْ بالحنانِ   تُهَنْهِهُ دمعي إذا ما همى
وألمُسُ في وَحدتي خافقًا   يذوبُ على ما أعاني أسَى
وألمحُ طيفًا يَلوحُ الهُزالُ   على وجهِهِ ويَبينُ الضَّنَى
يُغمغِمُ في سِرِّهِ دائبًا   ويَرعَى خُطايَ ويَحمي الحِمَى
ويُؤنِسُني إن عراني المَلالُ   ويحملُ عنّيَ وقْدَ الجوى
ويَنفحُني بأريجِ الخلودِ   ويغمرُني بشهيِّ المُنَى
كأنيَ أبصرتُ شِبْهًا له   تعلّقتُهُ في غضونِ الصِّبا
يُذكِّرُني وجهُهُ بالحبيبِ   وإنْ غيّرتْهُ عوادي النوى

* * *

مَنِ الزائري في إسارِ الشجونِ   يُزحزِحُ عنّيَ خَطبًا عرا
يُقاسِمُني غمراتِ الحياةِ   وما روّعَ القلبَ أوْ ما دهى
ويُنقذُني مِنْ وُجومِ الرهيبِ   ومِنْ ليليَ الجهمِ إمّا غشا
ومِنْ هاجسٍ ضجَّ منهُ الجَنانُ   ومِنْ خاطرٍ فرَّ منه النُّهى
غنيتُ بهذا الخيالِ العجيبِ   وشتَّتَ لُبِّيَ هذا الغِنى
ذهلتُ ولم أدرِ مِنْ حيرتي   ألِلغيِّ مَسْرايَ أمْ للهُدى
فلا العينُ تعرفُ سَجْوَ المنامِ   ولا الليلُ يُسعِدُها إن سجا
يُريني اكتئابي طيوفًا تموجُ   وقافلةً لا تملُّ السُّرى
ترامتْ بها نائياتُ القفارِ   فضاعتْ معالمُها والصُّوى
وجِنًّا تألقُ مثلَ اللهيبِ   وجِنًّا تأجّجُ مثلَ اللظى
وأرضًا تَفجَّرُ منها الدماءُ   وفيها تغوصُ أُلوفُ الدُّمَى
وجرحى يئِنّون خلفَ الزحامِ   وصرعى يَغيبون تحتَ القنا
وأُفقًا تَدوّى بهِ السافياتُ   وتملأُ جنبيهِ نارُ الوغى
فمِنْ أنجُمٍ لمعتْ كالوميضِ   ومِنْ أسْيُفٍ إثرَها تُنتضى
ومِن أجنحٍ دوّمتْ في الفضاءِ   ومدّتْ على الكونِ ظِلًّا ضفا
ومن خائفٍ قد عصاهُ الصِّياحُ   فخارتْ عزائمُهُ والقُوى
ومِنْ نَهِمٍ أكلَ الكائناتِ   وعَبَّ خِضَمّاتِها واحتَسى
وغالَ مِنَ النجمِ ما لا يُعَدُّ   وما لا يُرامُ ولا يُحتوى
يُقهقِهُ قهقهةً كالرعودِ   ويمتدُّ كالبرقِ إمّا بدا
وينفثُ حتى إخالُ السحابَ   تدفّقَ من جانبيهِ الحَيا
وعيني إلى مَلَكٍ نائمٍ   يُجمجِمُ في الحُلْمِ أحلى اللُّغى
أُناديهِ مِنْ طولِ شوقِ المليحِ   فيبسِمُ والقلبُ منه هفا
سريرُكَ حَوّمَ بينَ الغيومِ   وأغفى على شُرُفاتِ السُّها
وفي القلبِ عُشُّكَ لكنّهُ   عفاءٌ ومِنْ طيرِهِ قد خلا

* * *

وأنتَ أيا طيفُ ظلّلتَني   بعطفِكَ حتى ازدهاني الرضا
أُفدّيكَ من مُشفقٍ لاهفٍ   ويا ليتَ يُرضيكَ أنّي الفِدا
تكلّمْ علامَ تُطيلُ السكوتَ   وفي شفتيكَ كلامٌ يُرى

* * *

تعالَ فهاذاكَ ركبُ الحياةِ   تسربلَ صحراءَها وارتدى
ولم يَبقَ منه سِوى ومضةٍ   كخطِّ الأصيلِ بأقصى الفلا
تعالَ فإنْ يحتجبْ نورُهُ   يَعُمَّ الشقاءُ ويطغَ الأذى
تعالَ فإني أُحِسُّ المساءَ   يَحُطُّ على شامخاتِ الذُّرى
وينشرُ أجنحةَ الضافياتِ   ويُرسِلُها في رحابِ الفضا
يُحبّبُهُ حُلْيُها العيونُ   وإنْ غامَ لألاؤها أوْ دجا

تعالَ فلِلَّيلِ حُزنٌ يَطولُ ... وَهَوْلٌ إذا ما تَناهَى ابتـدا
تعالَ فإنْ أدركَتْنا خُطاهُ ... فليسَ يُتاحُ لنا المُلتقَى

***

حياتِيَ طائفـةٌ كالخيالِ ... وصوتِيَ ليسَ له مِنْ صَدَى
ونفسِيَ تَحمِلُ همَّ اثنتينِ ... وَهَمِّيَ جازَ بنفسِي المدَى
كأنِّيَ قَبْرٌ تَراءَى العفاءُ ... على جانبيهِ وعَجَّ البِلَى
وقلبِي أُنشـودةٌ خُلوَةٌ ... تغنَّى بها قافلاتُ الهوَى
مررتُ بصحراءِ هَذي الحياةِ ... كمَرِّ في الغمضِ طيفُ الكَرَى
على مَنكِبَيَّ بياضُ النَّهارِ ... وفي مُقلتَيَّ سوادُ الدُّجى
لئِنْ نقَمَ القلبُ أشجانَهُ ... لَمَا كَرَّبَتْهُ صُروفُ الرَّدَى
وإن أنكرَتْه الأمانِي الكِذابُ ... فما خَلَّفَ الدهرَ مُرُّ الشَّجا
تصبَّرْتُ حتى فقدْتُ المعِينَ ... وأجملْتُ حتى مَلِلْتُ الأسَا
فيا قلبُ حَبْسٌ عليكَ العَذابُ ... ويا عينُ وقفٌ عليكِ البُكا

***

أُحِسُّ كأنِّيَ قُمْرِيَّةٌ ... تنوحُ على حُلُمٍ قد نأَى
تُوَدِّعُ آمالَها الضاحكاتِ ... وما ضَمَّ عالَمُها مِنْ دُمَى
وتَمشي إلى شَجَنٍ قاتمٍ ... رهيبِ السكونِ سحيقِ الهوَى

***

عبِثتُ بحبِّيَ لمَّا استفاضَ ... وذُقتُ لَذاذتَهُ مذْ مضى
وعشتُ بفرحتـهِ حالماً ... أطوفُ بأوهامِهِ والرُّؤَى
فيا لكَ من جـدولٍ هانئٍ ... إذا شَرِبَ القلبُ منه ارْتَوى
فوارِدُهُ لا يُحِسُّ الشقاءَ ... وَراشِفُهُ لا يذوقُ الصَّدَى
ويا رُبَّ واهٍ بَرَاهُ الهزالُ ... تَرَشَّفَ أمواهَهُ فاشتَفَى
وسكرانَ من كأسِ هذا الزَّمانِ ... تَنَشَّقَ نافِحَهُ فانتشى
تموجُ الغيوبُ بأعطافِهِ ... ويَطفَحُ في حافتَيْهِ الجَدَا
خَلا مِنْ مَنا كَدِّ هَذِي الحياةِ ... وَمن رَنْقِ جُرْعتِها والقَذَى
يُغنِّي فيهتزُّ هـذا الوُجودُ ... ويَشدو فيَطرَبُ هذا الوَرَى

***

أُحِبُّ السماءَ ولكنَّما ... يُدافِعُني عَنْ هَوايَ الثَّرَى
هِيَ الأرضُ مَهْدِيَ أنَّى شَرَدْ ... تُ وَحَلَّقتُ في الكائناتِ العلى
ولكنَّ روحِيَ مِلْكُ الخلودِ ... وَرَهنُ البقاءِ وَخِدنُ السَّنا

أنور العطار

مؤلفات

جبران خليل جبران

كان المرحوم جبران خليل جبران أديباً كاملاً ومصوراً ماهراً وكاتباً خيالياً لا يجارى. وقد أراد بعض الأدباء في هذا العصر أن يجاريه ويماشيه في خياله ولكن على غير جدوى دون أن يلحق له غبار، وقد طبعت مكتبة العرب بشارع الفجالة رقم ٤٧ بمصر جميع مؤلفاته وهي تطلب منها:

- ١٥ البدائع والطرائف مزين بالصور الخيالية
- ٨ كتاب النبي » » »
- ٥ رمل وزبد » » »
- ٥ المواكب (قصيدة) » » »
- ١٠ كلمات جبران الخالدة
- ١٥ دمعة وابتسامة طبع أميركا



من أساطير الاغريق

بنـــدورا

و

سرقة النار المقدسة

للأستاذ دريني خشبة

« هدية الآلهة إلى الآنسات في جميع العصور !! »

توزَّعَ الآلهة تعمير الكون ، فكانت الأرض من نصيب بروميثيوس بن يابيتوس ، أحد ذرارى التيتان المالقة ، الذين حبسهم أبوهم خشيةَ جبروتهم ومخافة بأسهم . . .

وطفق بروميثيوس يفكر ويفكر ، حتى بَدَا له أن يجمل فى الأرض أناسيّ يخلقهم على صُوَر الآلهة ، فاستعان أخاه أبيمثيوس فهداه إلى الحمأ المسنون ، أو الطينة البشرية ، فخلقا منها الانسان الأول ، وذهبا إلى إيروس(١) فنفخ فيه من روحه ؛ التى هى الحياة ؛ وقصدا إلى مينرفا فنفثت فيه نفثتين ، هما النَّفْس والعقل

وخلق بروميثيوس رجالاً كثيرين على هيئة آدم الأول ، وجلس على أكمة عالية يشرف على عباده الصالحين !! ولشد ما كانت الكبرياء تشيع فى أعطافه ، كلما نظر فوجدهم يتحدثون بآلائه ، ويسجدون له ، حتى فكّر فى نعمة أخرى يسبغها عليهم فتكون أجزل النعم !

« النار ! النار المقدسة تنفعهم وتُلين لهم حديد الحياة !

(١) إيروس هو كيوبيد إله الحب

« فلأذْهَبْ إلى الأولمب ولأتحسَّسْ ؛ فاذا استطعت أن أتغفَّلَ زيوس ، فانى سارقٌ لهم قبساً من ناره التى آثر بها نفسه على سائر العالمين ! »



بروميثيوس يخلق الانسان كما تزعم الأسطورة

ومع أن بروميثيوس يعلم من أمر هـذه النار ما يعلم ، ومع أنه يعلم أنها محرمة على غير الآلهة ، وأن كل من استباحها لنفسه ممن عداهم تعرض لمقت الالـه الأكبر ونكاله ، فقد ذهب إلى الأولمب وتغفل زيوس ، ودسَّ قبساً من النار فى تضاعيف ثيابه ، وعاد كالبرق إلى عباده المخلصين يقدم اليهم هديته التى سرقها من أجواز السماء !

ونظر زيوس من علياء الأولمب ، فرأى النيران تتأجج هنا وهناك فى أديم الأرض ، ففطن إلى السرقة النكرة ، واتقذفت من فمه المزبد رعود الغضب !

وارتجف الأولمب ، وزُلزلت السماء ، وارتعدت فرائص الآلهة ، وأمر الالـه الأكبر فأحضر بروميثيوس مُكبَّلاً بالأصفاد ، مُلطخاً بالوحل ؛ وعبثاً حاول الدفاع عن نفسه ؛ ثم حُكم عليـه فَسيق إلى جبال القوقاز ، حيث غُلَّ عنقه الضخم وذراعاه الكبيرتان ، ونخذاه اللتان تزريان بفخذى فيل ، فى قنة عالية . وسخَّر الالـه الأكبر رُخًّا عظيم الجثة ، حاد الأظافر ، كبير المنسر ، فذهب إلى حيث بروميثيوس ، ينوشه ، ويمزق

جسمه ، وينفذ أظافره ومنسره فى أحشائه حتى تبلغ الكبد ، فيهرأه ويطعمه حتى يأتى عليه ، وينصرف إلى غد



بروميثيوس مكبلا على قمة جبل القوقاز والرخ ينوشه

فاذا كان الليل ، وهبّت الريح سجسجاً ، التأمت جراحات الاله المسكين ، وخلق له كَبِدٌ آخر ؛ وينام حتى تشرق الشمس ، فيعود الرخ ليبدأ ما انتهى منه أمس ، وليأخذ فى تعذيب بروميثيوس التعس ، إلى أن تغيب ذُكاء !! وهكذا دَوَالَيْك ، أحقاباً وأحقابا . . .

ويلبث الاله المنكود فى هذا العذاب الطويل حتى يلقاه هرقل[1] الجبار فى أحد أسفاره ، فتثور الشفقة فى قلبه ، وينقض كالصاعقة على الرخ ، ولا يتركه حتى تزهق روحه ، بعد صراع عظيم ، ثم يفك أغلال بروميثيوس ويحرسه ، حتى يقبل الليل فيشق مما به ، ويسير بين يديه حتى يبلغ أوطانه ، حيث عباده الصالحون !!

وفرح الناس بالههم وسروا بلقائه ، وقدروا مالقى فى سبيلهم ومن أجل سعادتهم فعنوا له وأخبتوا

وكانوا يحيون فى بُلَهْنيَة ، غارّين فى طراوة من العيش ، وسعة من الرزق ، هواؤهم رُخاء وماؤهم صفاء ، لا يشكون متربة ولا يعرفون ضنكاً ، ولا تلم بهم ملمة من مرض أو رجس .

(١) إله القوة والرياضة ، وأسطورته من أبرع الأساطير اليونانية وسننشرها قريباً

ولم يعرفوا الموت ، ولم يدروا ما البكاء ، فكأنما كانت حياتهم طوبى ، ونعيما مقيما

وعلم زيوس ما كان من أمر بروميثيوس وفرح الناس بأوبته إليهم ، فغيظ غيظاً شديداً ، وآلى ليكيدن لهم كيداً ، وليرسلن عليهم من مكره مالا طاقة لهم به . . .

ونظر زيوس فرأى أنهم مخلوقون على صور الآلهة ، ولكنهم كلهم ذكران ، « ومن الآلهة أنثيات ، فلم لا أصنع لهم أنثى تذهب بحرثهم ونسلهم ، إن صح أن يكون لهم نسل ؟ . . . »

وأرسل دعوة عامة إلى جميع الآلهة فسمت إليه من كل فج عميق ، وأخذ يحدثهم حديث بروميثيوس ، ثم أخبرهم أنه يريدهم أن يخلقوا له أنثى جميلة يودع فيها كل منهم سراً من أسراره : « لأنني سأرسلها هدية إلى هذا المجنون بروميثيوس ليشهد بعينيه ماذا تصنع بعباده الذين خلق . . . »

واقترح الآلهة أن يفرغ هيفستوس[1] إله النار والفن ، وابن زيوس ، إلى ابتداع هذه الأنثى ، فسوّاها من نفس الحمأ الذى خُلق منه الانسان ، وجاءت آية من آيات الحسن ، رقيقة كأنها صُوِّرت لتكون فتنة الأواب

واحتملها إلى زيوس ، وأقبل الآلهة ينفثون فيها أسرارهم ، ويستودعون نفحاتهم ؛ فهذه فينوس تهبها من جمالها ، وحيرا من ثروتها ، وميزفا من حكمتها ، ولاتونا من استيحائها ، وديانا من رشاقتها ، وكيوبيد من حبه ، وأبوللو من شعره وموسيقاه . . .

أما هرمز الخبيث ، فقد انتظر واستأنى حتى فرغ الآلهة من إسباغ آلائهم ، ثم تقدم ، وملء وجهه ضحكة ساخرة ، فأودع الحواء[2] قلب كابر ، ونفس لص ، وعقل ثعلب !! . .

ثم نفخ فيها زيوس من روحه ، فدبت الحياة فى أعطافها ، ونظرت حولها فأبصرت الآلهة مشدوهين ، مأخوذين بسحر جمالها ، فولّت مدبرة ، ولكن إلى غير مهرب !

وشرع الآلهة يتخيرون لها الأسماء ، ثم سماها ربها « بندورا . » وأومأ إلى هرمز فاحتملها ، كالطفلة المدللة ، وذهب بها ، هدية

(١) هو فلكان الروماني
(٢) الحواء ... الأنثى الأولى

غاليةً من السماء إلى التعس بروميثيوس ، الذى رفضها غير شاكر وأباها غير حميد ! !

وكان لديه أخوه أبيمثيوس فكادت نفسه تذهب شعاعاً حين أبصر هذه الغادة الهيفاء ، يرفضها أخوه هدية من السماء ! وتقدم هو فضرع إلى هرمز أن ينزل له عنها ، وأن يغفر لأخيه حماقته ، وقلة بصره ، وكفرانه الذى لا كفران بعده ! !

ومع ذلك فقد نصح بروميثيوس لأخيه ألا يقبل هذه الهبة من الآلهة ، وأن يرفضها ، غير مشكورة ، كما رفضها :

— « إنها فتنة يا أخى ، بل هى خدعة من خدَع السماء حرىٌّ بنا ألا تنطلى علينا ! »

— خدْعة ؟ ! خدعة ماذا يا أخى ؟ خذ عَيْنَىَّ فابصر بهما ، وقلبى فَضَحّه على مذبح هواها .... ألا ترى إلى عينيها النجلاوين ، وشفتيها القرمزيتين ، وثدييها الناهدتين ، ونخذيها الملوءتين ، وساقيها الجميلتين ؟ ...

— « بل بحسبى عيناى يا أخى ! إنى أستشفُّ بهما فتوناً نفثته الآلهة فى كل جوارحها ، فحذار ! إنها ستكون خراب هؤلاء المساكين الذين صنعتهم يداى ! ! »

— « حسبك يا أخى وحسبى ! هى لى من دونك ، فتولّ عنا أودعْ ! »

* * *

وعاشت بندورا مع إبيمثيوس كما يعيش الآلهة فى الفردوس ... حياة كلها مرح ، وأياماً جميعها لذة وإيناس ، يخلو اليها فتمتزج روحاها ، وتختلط نفساها ، وتكون هى فتنة زوجها المسكين ؛ تأسر لبه بموسيقاها الحنون : وتسحره بالزرقة الناعمة فى عينيها ، وتبهره بكلماتها الغوالى فى الحكمة والموعظة الحسنة ! !

وتركهما زيوس حيناً من الدهر ينهلان خمر الحياة ، ويعبان من عسلها المصفى ؛ ثم دعا اليه هرمز ، فحمله صندوقاً ثميناً ، وأنفذه به اليهما ... « ... وإياك أن تعبث به فى الطريق ، فانه هديتى إلى بندورا ، وفيه انتقامى من عباد بروميثيوس ؛ فسر به إلى الفتاة ، وأوصها به خيراً ... »

وكان الزوجان يتراقصان على الحشيش الأخضر أمام قصرهما المنيف حين أقبل هرمز بالصندوق ، يتعثر فى مشيته ، وقد بدت وعثاء السفر عليه ، وعلق الثرى بأسماله البالية ، فلفتت بندورا نظر زوجها اليه ، وذهبا سوية للقائه والاحتفاء به ؛ ولكن هرمز أبى إلا أن يذهب إلى القصر ، ليسلم الهدية ، وليبلغ رسالة السماء . فسار الجميع حتى كانوا فى المخدع الوثير ، وجلس هرمز يستريح قليلا ، ثم قال :

« هاك يابندورا المزيزة هدية الآله الكريم إليك ، خصك بها من دون براياه أجمعين . وأحسبك فى غنى عن أن أصفها لك . فها هى أمامك تتكلم عن نفسها . ولكن الآله الأكبر يشترط ألا تفتحيها إلا باذنه ، فلا تتعجلى ، حتى يأتيك أمره . وإنه لقريب . »

ونهض هرمز ، وسلم وانصرف ، وما تزال بوجهه تلك الضحكة الساخرة التى كانت عليه يوم استودع بندورا قلب الكلب ، ونفس اللص ، وعقل الثعلب ...

وكان إبيمثيوس قد قدم اليهمن ثمر حديقته الشيء الكثير ، ولكنه لم عد يده اليه ...

* * *

وكان الليل قد قارب أن ينتصف ، وكان الكرى قد لعب بطرفها الوسنان ، فاستلقت على أريكتها الحريرية ، وغرقت فى سبات عميق ، ممتلىء بأحلى الرُّؤى ، وأطيب الأحلام

وخيِّل اليها أن فى الصندوق أرواحاً سحرية تكلمها ، وتنسج الأمانى العذاب لها ؛ وأن دنيا بأكملها تتفتح وتزهر حولها ... فلما نهضت من نومها فى بكرة اليوم التالى ، أحست أن أملاً كبيراً علأ قلبها ، وأن رغبةً ملحةً تدعوها إلى الصندوق كلما ابتعدت عنه ؛ وحدثت زوجها عما تجد ، فعللها هو الآخر بالآمال ، وأخذ يهدىء من روعها الذى بدا اضطرابه بأجلى مظاهره ... ودعاها إلى نزهة خلوية فأقسمت لا تغادر البيت ، بل لا تغادر الغرفة التى تضم الصندوق الصغير ، « الذى أحس أنه مغلق على قلبى ونفسى جميعاً ...! » فرثى لها ، وانطلق هو ، لأول مرة منذ عرفها ، وحده ، ينادم إخوانه الآلهة ويلاعبهم ؛ وبندورا وحدها فى مخدعها ، تقلب الصندوق المجيب ، وتتحدث إليه ، كأنه يسمع ويرى

وعبرت أيام وهى فى حال من الهم لم تعهدها من قبل ، وكانت تجلس وحدها حزينة كاسفة ، تنتظر بشير الآلهة الذى يأذن لها بفتح الصندوق ... ولكن هيهات ! ... لقد طال ماانتظرت

حتى تفقد صبرها وعيل ، ونهضت إلى الصندوق تقلبه ، وتقلبه ، وهى مأخوذة بجمال صنعه ، ودقة زخرفته ، وهذا الغطاء المزركش الذى انغلق على آمالها وأحلامها . . .

وحاولت أن تفتحه ، ولو أغضبت بذلك السماء ومن فيها من آلهة وأرباب ، ولكنها فشلت غير مرة ، وضاقت بها الدنيا عارحبت ؛ فدفعت بالصندوق دفعة قوية على أديم الغرفة ، فانصدع ، ولما تناولته ثانية ، هالها أن وجدت بعض أربطة الغطاء قد تقطعت ، ثم هالها أكثر أن تسمع هذه الأصوات ، منطلقة من الداخل :

« بندورا ! بندورا ! بندورا العزيزة ! حنانيك ! خلصينا من هذا السجن السحيق ! إننا نتعذب هنا ... انقذينا يا بندورا فقد ضقنا بما نحن فيه . . . إننا لم نصنع شيئاً حتى نرسف فى هذا الحيز الضيق . . . »

« ماذا ؟ . . .

ما الذى يتحدث هكذا فى هذا الصندوق . . . ؟

إنها أصوات حزينة مكلومة ، وإنى لا بد منقذتها !

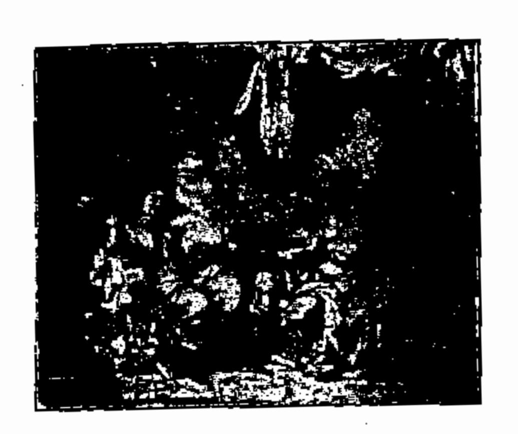
ماذا أنتظر ؟ أمر السماء ! هذا لا يهم ! !

انفتح أيها الغطاء . . . ! »

وضغطت الصندوق ضغطة هائلة فانفتح الغطاء ؛ وسرعان ما انطلقت خفافيش سوداء ذات مخالب حادة فملأت هواء الغرفة ، وأهوت على بندورا المسكينة تعضها وتجرح بدنها العض ، وكلما وخزها خفاش لعين ، انطلق قائلاً : « أنا المرض ! » ويقول آخر : « أنا الفقر ! » ويقول ثالث : « أنا الجوع ! » . ويصيح رابع : « أنا البخل ! » . وخامس : « أنا القحط » . وسادس : « أنا النفاق ! » وسابع . . وثامن . . . إلى آخر الرذائل التى تكظ الحياة إلى يومنا هذا ؟ ! . . .

وانطلقت الخفافيش من الغرفة إلى القصر ، فجرحت الخدم والخول ثم انطلقت إلى الحديقة . . . وإلى الطريق حيث كان إبيمثيوس وأقرانه الآلهة ، فأوسعتهم عضاً وقضا وتجريحا . وتركتهم يترنحون من الألم ، وذهبت تفسد فى الأرض ، وتنتقم لزيوس الجبار من عباد بروميثيوس المخلصين ، فكثرت الآلام ، وعم الفقر ، وامتلأت الأرض رذائل وأشجاناً ! ! . . .

وكانت بندورا قد أسرعت إلى الصندوق فأغلقته ، حين رأت من أمر هذه الخفافيش ما رأت



بندورا وصندوقها

ولكن : وا أسفاه ! !

إنها حين أغلقت الصندوق ، حبست فيه الروح الطيب الوحيد ، الذى خبأه فيه زيوس ... ألا وهو : « روح الأمل ! »

وانبطحت بندورا على أرض الغرفة تئن وتتوجع ، وتشكو البرح الذى ألم بها ، حتى أقبل أبيمثيوس فانبطح إلى جانبها يشكو شكاتها ، ويتألم آلامها . . .

ولبثا يبكيان . . .

وكلما حدثته بندورا حديث الصندوق ، تسخط الآلة التمس وتبرم ، وحدجها بنظرة فاترة ، قائلا : « نصحتك فلم تصيخى . . . ! »

وسمعا صوتاً ضعيفاً فى الصندوق يقول : « بندورا ! بندورا ! لماذا حبستنى هنا وحدى ، وأنا روح الخير ... افتحى ... افتحى ... إنى سأشفيك من جراحك ، وآسو آلامك وأوجاعك ... افتحى ... »

ولكن بندورا كانت فى شغل بآلامها فلم تنهض ولم تجب ، ولكن إبيمثيوس تناول الصندوق ففتح غطاءه ، فانطلق فراش أبيض جميل ، هو روح الأمل ، ما فتئ يرف بكل جرح من جراحات الزوج حتى شفاها جميعاً ؛ ثم شفى جراح الزوجة كذلك ، وانطلق إلى عباد بروميثيوس يشفيهم ويأسو جراحهم ؛ وما فتئ إلى اليوم ، هذا الفراش الأبيض الجميل ، روح الأمل ، يشفى أوجاع المحزونين والمكلومين

بورك الفراش الأبيض !

ولا بوركت خفافيشك السوداء يا بندورا !

دريني خشبه

البريد الأدبي

الذكرى الخمسون لفكتور هوجو

في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٥ توفي فيكتور هوجو الشاعر والكاتب الفرنسي الأشهر، ومحيي روح المذهب الابتداعي (الرومانتزم) في الأدب الفرنسي في أواخر القرن الماضي؛ وكانت الدوائر الأدبية الفرنسية تستعد منذ حين للاحتفال بمرور الذكرى الخمسين على وفاته؛ وقد بدأت هذه الاحتفالات التذكارية منذ يوم ١٩ مايو الجاري في باريس على أن تستمر شهراً يسمى بشهر «فكتور هوجو»؛ وكانت فاتحة هذه الاحتفالات في قصر «التروكاديرو» الشهير، وهنالك اجتمع جمهور كبير من الكتاب والشعراء والأساتذة والطلبة للاحتفاء بذكرى الشاعر الأشهر؛ وفي اليوم التالي، أعني في يوم ٢٠ منه، افتتح في المكتبة الوطنية معرض كبير خاص بهوجو، وعرض فيه كل ما يتعلق بالشاعر من الآثار والذكريات من مخطوطات ورسائل بخطه، وصور له في بعض أدوار حياته لم تنشر من قبل، وصورة رائعة «لجان فالجان» بطل «البؤساء» وهو أمام محكمة الجنايات، وصورة لهوجو وهو على سرير موته، وعدة رسوم مختلفة من رسم الشاعر نفسه، إذ المأثور عنه أنه كان يلهو بالرسم عن التفكير وقت الكتابة، وغير ذلك من التحف الفنية التي احتشدت الجماهير لرؤيتها

وفي يوم ٢٢ مايو، وهو اليوم الذي توفي في مثله الشاعر منذ خمسين عاماً افتتحت الاحتفالات الرسمية بحفلة أقيمت في «البانثيون» (مدفن العظماء)، حيث ترقد رفات الشاعر، شهدها رئيس الجمهورية ووزير المعارف، وأعضاء الأكاديميه، وعدد كبير من الكتاب والشعراء والفنانين، وألقيت الخطب والتحيات المناسبة

هذا وتستمر الاحتفالات الرسمية وغير الرسمية مدى شهر كامل، ومنها احتفال في مجلس الشيوخ، واحتفالات في دار «الكوميدي فرانسيز» تشمل تمثيل بعض قطع الشاعر مثل «هرناني» و «ماريون دي لورم»، واحتفال آخر يقام في المنزل الأثري الذي كان يقيم فيه الشاعر في ميدان «الفوج»، واحتفالات رسمية أخرى في مدينة «بيزانصون» مسقط رأسه

وسنعود في فرصة أخرى الى ترجمة الشاعر ودرس آثاره

عيد الفن في روسيا

طغت الثورة السياسية والاجتماعية التي شهرها البلاشفة على المجتمع القديم على كل شيء في حياة روسيا القديمة؛ ولكن شيئاً واحداً لم يتأثر بهذه الحرب الهدامة، هو الفن، فالفن ما زال في روسيا السوفيتية محتفظاً بتراثه القديم، يتطور ويتقدم في جو سلمي هادىء، بل لقد كان الفن من نواحي الحياة التي شملتها الثورة البلشفية بالعطف والحماية، فأسبغت عليه حكومة الثورة كل تشجيع ومؤازرة؛ وقد لقي الفن في ظل البلشفية عهده الزاهر؛ وشمل هذا التشجيع كل ضروب الفن الجميل من التصوير والنحت والموسيقى والمسرح، وغدت موسكو كعبة للفن الرفيع وملاذاً لأقطاب الفنانين؛ ولكن لننجراد عاصمة روسيا القديمة مازالت كما كانت في عهد القياصرة ملاذاً للفنون، ومازالت عاصمة روسيا الفنية

وقد رأت حكومة موسكو أخيراً أن تقيم عيداً عظيماً للفن في لننجراد، وسيبدأ هذا العيد من أول يونيه القادم ويستمر الى العاشر منه، وستقام حفلات مسرحية باذخة ينظمها معهد الموسيقى الشهير في لننجراد في يومي أول ورابع يونيه، وتعزف فيها روائع الأوبرات والقطع الخالدة، وتمثل عدة روايات شهيرة روسية وأجنبية، من شكسبير الى سكوثارفسكي وغيرهم. وفي نفس الوقت تفتح متاحف لننجراد الشهيرة أبوابها للزائرين، وتعرض أبدع الأشرطة السينمائية التي أخرجها الفن السوفيتي، وقد منحت السلطات السوفيتية تسهيلات عظيمة للزائرين في أجور النقل وغيرها

والمفهوم أن هذا العيد إذا انتهى بنجاح ، فان حكومة موسكو تنوى أن تجعله عيداً دورياً ، وأن تقيم للفن فى لننجراد مواسم عظيمة أسوة بمدن الفن العظيمة الأخرى ، مثل سالزبورج فى النمسا ، وبايرويت فى ألمانيا وغيرها

كتاب عن نابوليون الثانى

صدر أخيراً كتاب عن « نابوليون الثانى » بقلم الكاتب الفرنسى رنيه درفيل . ونابوليون الثانى هو كما نعلم ابن نابوليون الأول من زوجه الثانية مارى لويز ، وهو المعروف بملك رومه ، « والنسر الصغير » وأخيراً بدوق ريخشتات . وليس فى حياة هذا الأمير الذى عاش وتوفى فى ظروف مؤلمة مايستحق الذكر من الوجهة التاريخية ؛ فقد أخذته والدته مارى لويز طفلاً إلى فينا ، وهنالك ربى تربية نمسوية ، واحتجزه البرنس مترنيخ رئيس الحكومة النمسوية ، وفرض عليه نوعاً من الحراسة ، لكى يبقى رهينة بيد النمسا ؛ وقطع فى فينا حياة أليمة مؤثرة يكدر صفاءها السقم والمرض ؛ ثم أصابه السل حدثاً ، وبعثه إلى القبر فى ربيع الحياة ؛ وكانت حياة « النسر الصغير » مأساة أثارت كثيراً من قريض الشعراء ، وخيال القصصيين ؛ ولكن الاهتمام بتدوين حياته من الوجهة التاريخية لم يظهر إلا فى العصر الأخير ، حينما نشرت مذكرات « الدوق ريخشتات » (النسر) وكشفت عن كثير من دخائل هذه الحياة المؤثرة . وليس فى كتاب رنيه درفيل جديد فى حياة النسر الصغير ، ولكنه من الكتب التاريخية القليلة التى دونت عن هذه الحياة

الكولونل لورنس

توفى فى الأسبوع الماضى رجل يرتبط اسمه أشد الارتباط بتاريخ الثورة العربية ، هو الكولونل توماس لورنس ، والذى يهمنا فى هذا المقام هو ناحيته الأدبية ، فقد كان لورنس أديباً ومستشرقاً وأثرياً معروفاً . وكان مولده سنة ١٨٨٨ فى كارنارفون شير (انكلترا) ، وتلقى تربية جامعية حسنة ، وبدأ حياته العملية بالاشتغال بالتنقيب الأثرى مع العلامة الشهير فلندرز بترى فى مصر وسينا منذ سنة ١٩١٠ ، ولما نشبت الحرب الكبرى أرسلته السلطات البريطانية الى القاهرة فى سنة ١٩١٦ ليتصل بزعماء العرب ، ويعمل معهم لتنظيم ثورة عربية على الترك ، فسافر لورنس الى الحجاز ، وقام بمهمته خير قيام ؛ واشتغل بالتعاون مع الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل فيما بعد) ؛ ونثر الأعطية على البدو ، وجمع قوات لابأس بها ، وخرب مواصلات الترك ، ومهد الظفر لقوات الماريشال اللنبى ، وسقوط فلسطين وسوريا فى يد الانكليز . ولما انتهت الحرب تظاهر لورنس بالعطف على العرب ومشاركتهم فى السخط على السياسة الانجليزية لأنها نكثت بوعودها للعرب ، ونزل عن ألقابه ورتبه العسكرية ، واشتغل عاملاً بسيطاً بالطيران المدنى باسم جديد هو « شو » ؛ ومن ثم كان اللقب الذى خلع عليه من بعض العرب الحسنى الظن وهو « صديق العرب »

والواقع أن لورنس لم يكن صديقاً للعرب ، وإنما كان طليعة الاستعمار البريطانى وأداته النافذة فى جزيرة العرب ، وهو الذى مهد لتمكين النير الانكليزى منها باسم العمل لتنظيم الثورة العربية وإنشاء دولة عربية مستقلة ؛ وكان كمعظم أقرانه طلائع الاستعمار يستتر بالأثواب والمظاهر المعروفة ؛ حب الاسلام والعروبة ، والاستشراق ، والعطف على مجد العرب

وكان لورنس مع ذلك مستشرقاً أديباً ، وقد ترك عدة آثار قيمة ، منها « سبعة عمد من الحكمة » Seven Pillars of wisdom وهى دراسات وصور وصفية للقاهرة وأزمير واستانبول وحلب ودمشق والمدينة . والثورة فى الصحراء Revolt in the Desert وهى قصة بديعة لأدوار الثورة العربية ، وفيها يكشف عن كثير من أسرارها

وفاة كاتب نمسوى كبير

من أنباء النمسا الأخيرة أن الكاتب القصصى النمسوى الكبير أميل أرتل قد توفى فى جراتز فى الثالثة والسبعين من عمره . وقد ولد أرتل فى فينا وربى بها ، ولكنه ذهب الى جراتز منذ فتوته ، وتولى هنالك ادارة مكتبة المدرسة العليا للفنون ، وهنالك انقطع لدرس الأدب ، وتوثقت صداقته مع الكاتب الشهير بيتر روزيجر وحلقته ، وأصدر عدة كتب نقدية وقصص لها المقام الأول فى الأدب النمسوى الحديث

احياء ذكرى المتنبي في الجامعة الامريكية ببيروت

جاءنا من بيروت أن « جمعية العروة الوثقى » ستقيم في الجامعة الأمريكية حفلة لاحياء ذكرى المتنبي بمناسبة مرور ألف عام على وفاته ، وذلك في الساعة الخامسة بعد ظهر الأحد الموافق ٢ يونيو سنة ١٩٣٥ في القاعة الكبرى من الجامعة

وسيشترك في الحفلة أكثر الأقطار العربية ، فيتكلم فيها الدكتور حسين هيكل عن (مصر) ، والأستاذ معروف الرصافي عن (العراق) ، والأستاذ معروف طوقان عن (فلسطين) ، وفؤاد باشا الخطيب عن (شرق الأردن) ، والأستاذ سامي الكيالي عن (حلب) ، والأستاذ شفيق جبرى عن (دمشق) ، والأستاذان فؤاد البستاني ، وأنيس القدسي عن (بيروت)

تنقية اللغة الايرانية من الألفاظ الدخيلة

عقد المؤتمر اللغوى في طهران ثلاث جلسات إلى الآن ، وقد وضع كلمات إيرانية بدلاً من كلمات عربية وأجنبية ، وسيذيعها في الصحف بعد شهر لتصقلها الألسنة والأقلام ، والمعروف في الأندية العلمية أن المؤتمر متردد في ترك الحروف العربية الى حروف أخرى ، ففريق من أعضائه يريد استعمال الحروف البهلوية ، وآخرون يريدون الحروف اللاتينية ، ويظهر أن الشاه لا يرغب في املاء ارادته في هذا الشأن ويفضل أن يترك البت في حل هذه المسألة إلى رجال العلم والأدب

اكتشاف أثر مصرى في انكلترا

كتب أحد المراسلين إلى جريدة الديلي تلغراف يقول إن المتحف البريطاني تمكن من الحصول على تمثال من الرخام الأسود المصرى بدون رأس يرجع إلى عهد البطالسة ، ولكن لهذا التمثال أهمية مخصوصة لأنه وُجد في هايس من مدلسكس في انكلترا على اعماق ٨ أقدام أو ٩ ، حيث كان مدفوناً بين الحصى تحت طبقة كثيفة من الصلصال

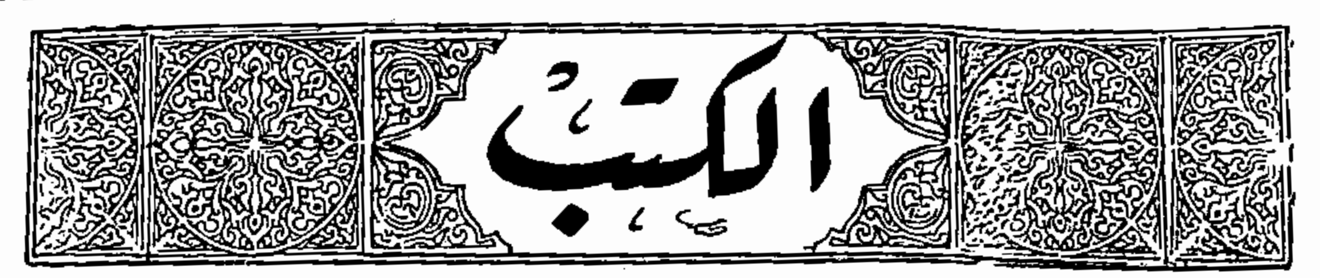
وقد قيل في تعليل وجوده هناك إن بعض محبي الآثار ابتاعه ثم رماه غير حافل به . لكن العمق الشديد المدفون فيه ينقض هذا التعليل

وقد سبق أن وجدت آثار مصرية صغيرة متعددة في انكلترا ولكن لم يوجد حتى الآن أثر بهذا الحجم الضخم الذى يستحيل وروده إلى انكلترا بالطرق التجارية القديمة

مسكوكات عربية قديمة ضربت في عهد الدولتين الأموية والعباسية

حصلت إدارة المتحف العراقي قبل مدة على عدد من المسكوكات القديمة كانت في حيازة بعض الرعاة ، وهذه المسكوكات وجدت في تلول كشكوبل على باشا التابعة إلى ناحية قره تبه ، وبعد دراسة المتحف لها تبين أنها مسكوكات عربية (ماعدا قطعة واحدة ساسانية) وأن تواريخ هذه المسكوكات تختلف ما بين عام ١٢٢ و ١٧١ للهجرة ، وفيما يلي تواريخ هذه النقود :

أربع قطع باسم هشام بن عبد الملك ، ضرب واسط ، سنة ١٢٢ و ١٢٤ ﻫ ، قطعتان باسم الوليد الثاني بن يزيد الثاني ، ضرب واسط ، سنة ١٢٥ ﻫ ، ثلاث قطع باسم ابراهيم الأول بن الوليد الأول ، ضرب واسط ، سنة ١٢٦ ﻫ ، أربع قطع باسم مروان الثاني بن محمد ، واحدة في البصرة سنة ١٢٨ ﻫ والباقي واسط سنة ١٢٩ و ١٣٠ ﻫ ، ست قطع باسم السفاح ، أربع من ضرب الكوفة في ١٣٢ و١٣٣و١٣٦ ﻫ واثنتان من ضرب البصرة في ١٣٣و١٣٥ ﻫ ، أربعون قطعة باسم أبي جعفر المنصور . إحدى عشرة من ضرب الكوفة في ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ﻫ ، وخمس من ضرب البصرة في ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ﻫ واثنتان وعشرون من ضرب مدينة السلام في ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ﻫ واثنتان من ضرب المحمدية في ١٥٠ ، ١٥٤ ﻫ ، ستة وأربعون باسم المهدى ، ثلاثون من ضرب مدينة السلام في ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ﻫ ، وثمان من ضرب المحمدية في ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ﻫ وثلاث من ضرب البصرة في ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ﻫ ، وثلاث من ضرب حي في ١٦٢ ، وواحدة من ضرب كرمان في ١٦٩ ﻫ ، وواحدة من ضرب المنصورية في ١٦١ ﻫ باسم محمد بن سليمان والي البصرة . قطعة واحدة باسم الأمير هارون في عهد الهادى ، من ضرب اليمامة في ١٧٠ ﻫ ، قطعة واحدة باسم الخليفة هارون الرشيد ، من ضرب المحمدية في ١٧١ ﻫ قطعة واحدة باسم الأمير الأمين في عهد هارون الرشيد ، من ضرب المحمدية سنة ١٧١ ﻫ



الأوشال

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

بين يدي الآن الديوان الخامس من شعر الأستاذ الزهاوي الذي فاضت به قريحته الخصبة في الأيام القريبة ، والذي شاء له تواضعه أن يسميه « الأوشال » بينا تزخر صفحاته التي تربو على الثلثمائة صفحة بالقصائد الغر في شتى الموضوعات ومختلف الفنون

قلب صفحات هذا الديوان يتولك الدهش من ذلك النشاط الذهني العجيب ، إذ ينتقل بك الزهاوي من العراق الى مصر ، ومن مصر الى سوريا ؛ تارة صادحاً وتارة نائحاً ، وطوراً حافزاً الى المجد قومه ، أو ناعياً عليهم تقاعدهم ، وأحياناً تراه يرسم لهم سبل النجاح ، ويدلهم على ما يرقى بهم الى العلى ؛ هذا ولا تنس نزعته الفلسفية وصفاء ذهنه إذا اتجه في شعره الى وصف الحياة وآلامها وما وراء الحياة من عالم الغيب ، والنفس البشرية وما ركب في طباعها من ميول ، والمجتمع الانساني وما يجول فيه من نزعات أو يختلج من مشاعر . وانك لتجد الزهاوي الى جانب ذلك يضع الأناشيد ويحكم صوغها ، ثم تراه يعمد الى الوصف فيأتي به متنوعاً يوائم تقدم العصر ويساير مستحدثاته ، فهو يصف لك كمنجة الشوا ، وألحان عبد الوهاب ، وترانيم أم كلثوم ، ويصف لك جمال الطبيعة في العراق أرضه وسمائه . أما مراثيه فيتدفق فيها الشعر تدفقاً مدهشاً ، فهو لا يكتفي مثلاً إلا بقصيدتين في رثاء شوقي ، ثم هو يرثي أديسون ويتفجع على العلم من بعده ، بله أعلام الشرق حديثهم وقديمهم . وجملة القول أن الزهاوي على الرغم من شيخوخته فياض المعاني ، تواتيه قريحته في سهولة ويسر بكل ما يختلج في نفسه أو يجول في رأسه ، فهو بحق فتى الشيوخ ، وما أظنك لو اطلعت على ديوانه غفلاً من اسمه كنت تصدق أنه ديوان شاعر اجتاز مرحلة الشباب

أما عن شعره ، فيكفي أن نقول هنا لضيق المجال ، إن آثار الزهاوي قد أصبحت في ذاتها ناحية هامة من نواحي الحركة الفكرية العصرية ، وسوف يكون لها فصل مستقل في تاريخ الأدب المعاصر ، وما أظنني أستطيع أن أوفي شعر هذا الديوان ما هو جدير به من الدرس والتحليل في عجالة كهذه ، ولعلي أعود الى تلك الدراسة في فرصة قريبة ، مكتفياً الآن بتقديم تحياتي الى الشاعر الكبير ؟

الخفيف

جولة أثرية

في بعض البلاد الشامية

بقلم أحمد وصفي زكريا

شاء لي حسن الحظ أن أهبط يوماً دار صديق المصور الفنان النابغ الأستاذ شعبان زكي بالمطرية ، فلم تكد عيني تقع من الجدر على ما زينها به صاحبها من آيات الفن الرائعة حتى أحسست في أعماق النفس غبطة ونشوة ، وكأنما سمعت حينئذ صوتاً يجلجل في أغوار الضمير يصيح بي : مصر العزيزة كنانة الله في أرضه !! ومبعث هذا الصوت وذلك الاحساس هو أني رأيت بلادي داخل الأطر وقد ألبسها الفنان زخرفاً وزينة لم يكن لي بهما عهد من قبل . . . قال لي الأستاذ : ذلك مبدئي وهو أن يأخذ الفنان بأيدي الناس حتى يضع أصابعهم على مواضع الجمال من بلادهم ، فان وفق كانت لنا وطنية تشتعل في الصدور ، فأصل الوطنية حب الوطن ، وباعث حب الوطن إحساس بجماله . قلت : والله ما أجمل أن يكون هذا وسيلة الفنون جميعاً ، تصويراً وكتابة وشعراً وموسيقى

ومنــذ ذلك اليوم رسخ فى نفسى مذهب مصورنا الفنان ، وتمنيت أن يكون لنابين الـكتّاب والشعراء من يضعون لنا بلادنا تحت أبصارنا وأسماعنا فى صور تستهوى الألباب فتدفع الأفئدة إلى الفتنة والهيام ثم إلى العبادة والتفانى

ذكرت ذلك كله عندما أخذت أتصفح هذا الـكتاب القيم الجليل ، الذى نقدمه الآن إلى القراء ، فهو كما ترى من عنوانه جولة فى بعض البلاد الشامية ، وصفت وصفاً دقيقاً بارعاً ، فلا تقرأ من الـكتاب جزءاً إلا وقد ارتسمت فى ذهنك له صورة قوية رائعة كأنما جاءتك من رؤية العين ، بل إن الـكثرة الغالبة من الأعين لتمر مر الـكرام على أغلب ما تقع عليه مما لا يفوت الأستاذ المؤلف منه شيء ؛ فما أحوجنا فى الحق إلى مطالعة بلادنا بأقلام الـكاتبين ، إذ الحقيقة المرة هى ما يصفها المؤلف فى مقدمة الـكتاب بقوله : « فقد كنت وأنا أتوغل فى هذه الأبحاث أرى بكثير من الأسف أن جل مثقفينا ومفكرينا لا يعرفون من شؤون مساقط رؤوسهم وجغرافيتها وتاريخها القديمين والحديثين ولا من بقاعها ومصانعها الأثرية ومفاخرها التليدة ومدافن رجالاتها البارزة وتراجمهم قدراً كافياً . . . »

وقد رجع المؤلف فضلاً عن المشاهدة إلى عشرات من أوثق المصادر ، وإن نظرة عجلى لتكفى للدلالة على ذلك المجهود الجبار الذى أنفقه الأستاذ المؤلف فى هذا السفر الجليل : « ومعظم هذه الأوصاف مما رأيته بعينى وتحققته بنفسى أو بالواسطة الوثيقة على عسرة نواله ، أو مما عثرت عليه فيما ظفرت به من الـكتب الجغرافية والتاريخية والرحلات القديمة والحديثة العربية والتركية والأفرنجية على تفرقه فى تضاعيف السطور . فجاء الـكتاب وافياً على ما أظن ببعض حاجة من يقدر هذه الأبحاث قدرها ويعرف مبلغ التعب والنشب اللذين تتطلبهما . . . »

الحق الذى لا ريب فيه أنه كتاب كانت تفتقر اليه المـكتبة العربية افتقاراً شديداً ، وإننا لننتهز هذه الفرصة لنتقدم مخلصين إلى المؤلف بكل إعجاب وتقدير

ويقع الـكتاب فى نيف وأربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو فوق ذلك كله أنيق طبعاً وورقاً وذوقاً

زكى نجيب محمود

شرح ديوان علقمة الفحل — عمل السيد أحمد صقر
خاتم النبيين — تأليف عبد الغفار الجبار

أما شرح ديوان علقمة الفحل فهو عمل أدبى اضطلع به شاب ناشيء هو الاديب سيد أحمد صقر من طلاب القسم الثانوى بالجامعة الأزهرية ، فأخرج لنا ديوان علقمة فى طبعة أنيقة تقع فى ثمانين صفحة من القطع الـكبير ، ولقد صدره بمقدمة جيدة فى حياة علقمة ورحلته إلى الشام وآراء الأدباء فى شعره ، ثم قام بشكل شعره وضبطه ، وشرح مفرداته فى ذيل كل صفحة . ولعل اختياره علقمة دون سواه راجع إلى شغفه بشعره ، فهو يحدثنا أنه « طحا به فى علقمة قلب نابض كأنه صوغ قربضه وجشمه تيار غربيه فشرع ينقب عن درره المتناثرة حتى جمعها ونظمها فى هذا العقد »

وأنا مع ثنائى على نشاطه الأدبى أحب أن أصارحه بأنى لا أميل كثيراً إلى هذا النوع من الشرح الذى يقف عند الرجوع إلى المعاجم والأتيان بالمرادفات ، وخير ما يعمله الأديب فى رأيى وبخاصة إذا كانت تحدوه عاطفة الحب والاعجاب كما هو الحال فى موقف صاحبنا من علقمة ؛ أن يبين لنا جمال شعر الشاعر ومقدرته على التعبير عما فى نفسه ومقدار ما فى شعره من قوة وعذوبة ، وبذلك يكون لعمله من القيمة أكثر مما لو اقتصر على شرح المفردات ، على أنها باكورة طيبة أكبر ظنى أن ستعقبها خطوات موفقة فى خدمة الأدب . كذلك يجدر بمثل أحمد صقر أن يضرب صفحاً من الآن عن تلك « التقاريظ » التى ذيل بهـا كتابه ، والتى لا نرى فيها إلا غلواً يسيء إلى الحقيقة بقدر ما يسيء إلى الأدب

يأتى بعد ذلك كتاب خاتم النبيين ويقع فى نحو مائة وسبعين صفحة كبيرة طبع طبعاً جيداً على ورق متين ، ويدور حول حياة النبي العربى محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته ، ولقد سار فيه على طريقة طريفة ارتحت إليها كثيراً ، فبعد أن سرد فى إيجاز حياة الرسول ، عمد إلى توضيح بعض المسائل والعقائد بأن يذكر الموضوع ، ثم يعرض فى إيجاز ما كان يدور فى خلد العرب عنه ، وبعد ذلك يأتى بالآيات أو الأحاديث التى تبين ما أحدثه الاسلام فى تلك المسائل فى ترتيب ووضوح يبعدان السأم عن كتابه ، ولقد يضطر الى شيء من الأفاضة فيأتى به بين حين وآخر تحت عنوان على الهامش ، وقد استطاع بذلك أن يجتذب القارىء الى كثير من المسائل الدقيقة دون أن يشعره بملل أو يجعل للفتور سبيلاً اليه ، وهى طريقة جديرة بالثناء والتقدير

الخفيف